

أندرونيقوس كومنين
وسياسة بيزنطة الخارجية في عهده
١١٨٣ - ١١٨٥ م

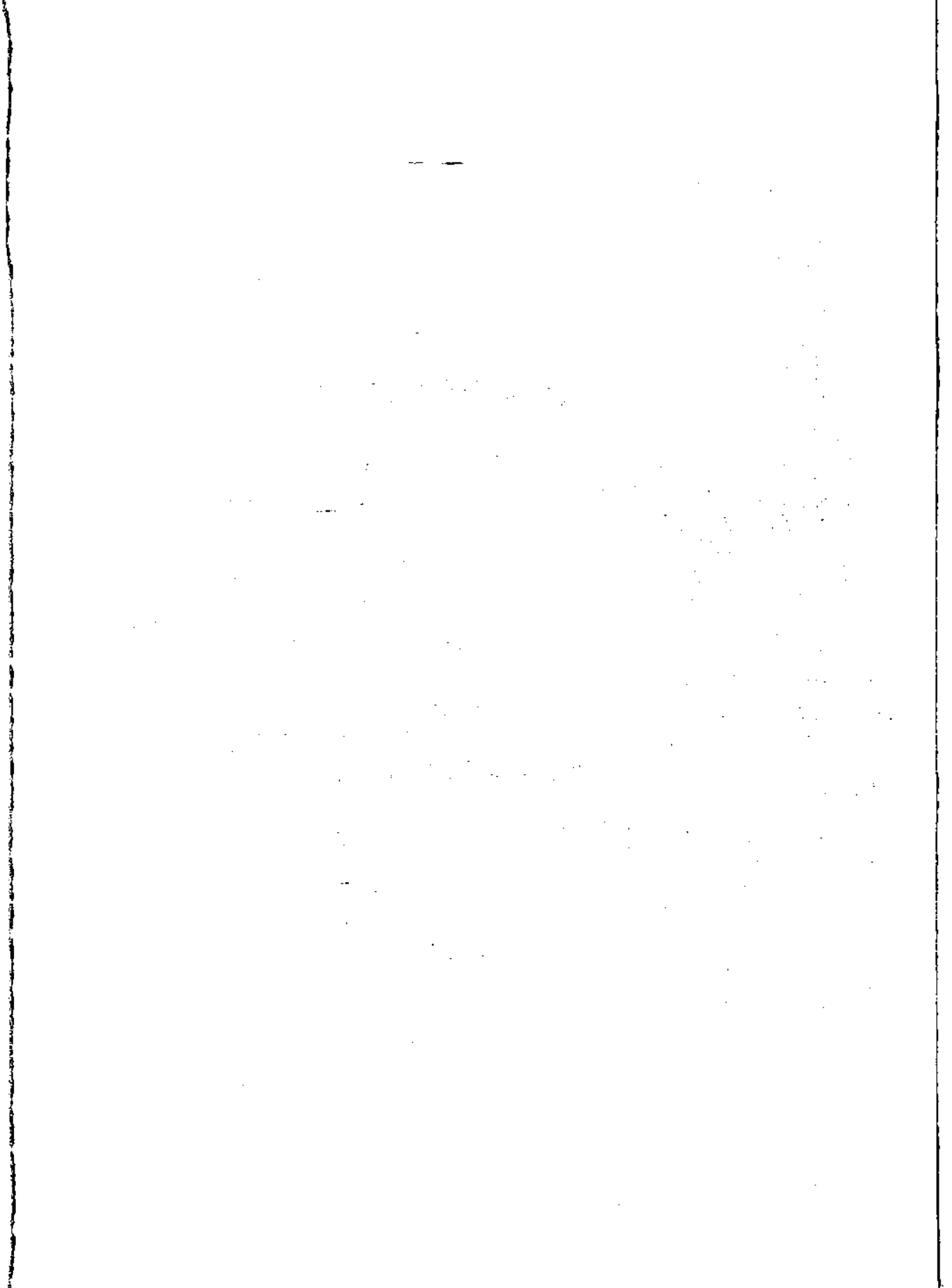
إعداد

دكتور

محمد محمد عبد الحميد فرحات

مدرس تاريخ العصور الوسطى - كلية تربية العريش

جامعة قناة السويس



تعتبر أسرة كومنين من أهم وأعظم الأسرات البيزنطية التي تربعت على عرش القسطنطينية ، حيث واكب فترة حكمها تغيرات سياسية خطيرة لم يقتصر أثرها على الدولة البيزنطية فحسب ، بل على الغرب الأوروبى والشرق الأدنى الإسلامى ، لذا كان على إباطرة هذه الأسرة ينتهجوا سياسة خارجية حكيمة للتصدى لهذه التغيرات ، وقد اتسمت تلك السياسة بصفة عامة بالمرونة ، فلجأوا إلى الدبلوماسية حيناً وإظهار القوة أحياناً ، وقد نجحوا فى ذلك إلى حد كبير وذلك إبان فترة حكم كل من الكسيسيوس الأول Alexios I مؤسس الأسرة ١٠٨٠-١١١٨ م ، ويوحنا John ١١١٨-١١٤٢ م ومانويل Manuel ١١٤٢-١١٨٠ م . وبموت الأخير أخذت بوادر الضعف والانهيار تدب فى جسد تلك الإمبراطورية خاصة وأن الإمبراطور مانويل كان أوروبى الطابع والنزعة شغوفاً بكل ما هو غربى ، فاعتمد كثيراً على الغربيين فى كثير من الأمور خاصة الاقتصادية والعسكرية ، مما أوجد نوعاً من السخط والكراهية أخذت تتفشى بسرعة هائلة بين أبناء الإمبراطورية البيزنطية ، ولم يحد من غلوها سوى ما تمتع به الإمبراطور مانويل من قوة فى السيطرة على زمام الأمور فى دولته .

وبعد وفاة الإمبراطور مانويل ١١٨٠ م وتولية زوجته مارى الأنطاكية Maria of Antioch الوصاية على ابنها القاصر اليكسيوس الثانى Alexios II وجد هذا السخط متنفساً له ، فنظراً للاتينية وانتهاجها نفس سياسة زوجها الغربية وإسنادها الإشراف على الحكم لخليفتها اليكسيوس البروتوسباستوس (١) Alexios Protosebastos ، كرهها الشعب وقامت عدة محاولات للإطاحة بها ، إلا أنها باءت بالفشل لافتقارها إلى

١- معنى هذا اللقب (الجميل الأول) وهو لقب شرف دون لقب قيصر Caesar وكان يسمح لحاملى هذا اللقب وزوجاتهم أن يتناولوا الطعام من المائدة الإمبراطورية. انظر من ذلك، Runciman, Byzantine Civilization , Seventh Impression, Great Britain , 1975, P. 84.

انظر أيضاً : إسعت فتيم : الحملة الصليبية الرابعة ومسئولية انحرافها ضد القسطنطينية دار المعارف ١٩٨٢ ص ٤٠ حاشية رقم ٢ .

التخطيط السليم والزعامة القوية ، ولكن سرعان ما وجدت تلك المعارضة ضالتها المنشودة في شخص عضو بارز من البيت الكومنيني وإن كان من فرع آخر غير الفرع الحاكم وهو الأمير أندرونيقوس كومنين Andronikos Comnen الذي كان يراقب من منفاه ببونتس Ponts- على البحر الأسود - ما يجري من أحداث في القسطنطينية فاستغل فرصة اضطراب الأحوال بالقسطنطينية وتحفز المعارضة الداخلية ليثب على العرش مشاركاً الإمبراطور أليكسيوس القاصر في الحكم في أول الأمر، ثم منفرداً بالحكم بعد ذلك ليدير بمفرده سياسة الدولة البيزنطية في فترة من أخطر وأحلك الفترات التي شهدتها البلاد خلال تاريخها رغم قصرها الواضح من ١١٨٣-١١٨٥ م .

ولد أندرونيقوس كومنين سنة ١١٢٠ م ، ووالده هو أسحق كومنين Isaac Comnen شقيق الإمبراطور يوحنا الثاني John II ، ويعتبر أندرونيقوس كومنين مثلاً متكاملًا للفراس البيزنطي في العصور الوسطى بكل محاسنه ومساوئه ، فقد كان فارغ الطول ذا قوة هرقلية ، حاد الذكاء ، فصيحاً صريحاً لدرجة أن الآخرين كان يخشونه وكان من اليسير عليه الإنسحاب بلباقة إذا شعر بحرج موقفه ، وكان شديد الإقناع صعب المعارضة (١) ، ذا علم واسع يعرف جيداً الألب المقدس . كما كان مقداماً لا يبلى بالأعداء يقتحم صفوفهم دون أن يهاب شيئاً (٢) .

Niketas , Ocity of Byzantium , Annals of Niketas Choniates, Trans—١
lated by Harry J. Magoulias , wayne State University Press Detroit,
1984, P. 193, Cf. also . Hussey, the Later Macedonians , the Comneni
and the Angeli 1025-1204, C. M. H., IV, PT. Part. 1. 2nd edited in
1976(P.P. 193-259), P. 244; Ostrogorsky, History of the Byzantine
State, English Thrans by Hussey , Oxford, 1968,P. 394

Niketas , OP. Cit., P.P. 193, 194 Cf. also, A. Vasiliev , History of—٢
the Byzantine Empire, 324-1453, London , 1971, Vol. 11, P. 377;
Boundrillart, M. V. C. Dictionnaire d'Histoire et de Geographie Ec-
clesiastique, Vol. 11, Paris, 1914, P. 1174; Tout , the empire and the
Papacy , London , 1924, P. 340

ورغم كل الصفات الطيبة التي تتمتع بها ، إلا أنه لم يبال بالدين ، فكان لا يخشى الله أو الشيطان ، إضافة إلى أنه كان متشائماً ويؤمن بالخرافة والسحر (١) ، وليس لديه مبادئ ولا يخشى شيئاً ، ولم يمسكه شيء ولا يمنعه أي قلق تجاه خلق عام ولا الشعور بالواجب أو الجميل (٢) . كان قخوراً بنشاته يحلم بالعرش وهو بعد صغير ، يستخدم جميع الأساليب ، كل الطرق كانت في نظرة نافعة من السيف إلى السم ، التآمر والعنف والقسوة والخبث ، ولذلك كان منافقاً كبيراً وممثلاً بارعاً وحرياء متعددة الألوان . وازدادت مع الكبر قسوته وخلاعته وأصبح لا يحتمل ، وقد ملأ القرن الثاني عشر بمغامراته العاطفية التي أصبحت متار حديث أهل القسطنطينية (٣) .

نشأ أندرونيقوس كومنين وترعرع في بلاط القسطنطينية مع ابن عمه مانويل وعاش الإثنان حياة ملؤها الحب والوثام (٤) وظلا على هذا الحال حتى سنة ١١٤٢م عندما اشتركا معاً في الحملة العسكرية التي قادها الإمبراطور

١- Niketas , OP. Cit., P.P. 187-88

٢- Eustathius of Thessalonika, De Capta Thessalonika narratio, edited-by I. Bekker. P.G. T 136, P.P. 25-26

انظر أيضاً بروبرت كلاري ، فتح القسطنطينية على يد الصليبيين ، ترجمها من الفرنسية القديمة لها د. حسن حبشي ، القاهرة ١٩٦٤م ، ص ٥٦ . انظر أيضاً : لزمان : الإمبراطورية البيزنطية ، تعريب د. مصطفى طه بدر ، دار الفكر العربي ، بدون تاريخ ص ٢١١ .

٣- لمزيد من التفاصيل عن مغامرات أندرونيقوس العاطفية انظر :

Charles Diehl, Les romanesques aventures d'Andronic Comnene dans Fiures Byzantines . dans la Deuxième Serie, 1908, Pairs , 1908, P.P. 86-133.

٤- Kinnamos . Deeds of John and Manuel Comnenus , Trans by -٤ Charles M Brand, New York, 1976, P. 100.

يوحنا ضد بلاد الشام (١) . وعندما وافقت المنية الإمبراطور يوحنا في قيليقية عام ١١٤٢م أسرع إبنة مانويل بالعودة إلى القسطنطينية مارا بأسيا الصغرى حتى يصل إليها في أقرب وقت ليخلف أباه على العرش (٢) ، بينما تخلف أندرونيقوس عن صفوف الجيش بغرض الصيد ، فوقع في أيدي أتراك قونية . ولما كان مانويل حريصا على الوصول بأقصى سرعة إلى عاصمته فإنة لم يبذل أى جهد من أجل إنقاذ حياة ابن عمه أندرونيقوس ، ومنذ تلك اللحظة تصدعت العلاقة بين الصديقين وانفصمت عرى المودة بينهما وحل الحقد والكراهية محل الود والوثام خاصة وأن مانويل لم يحاول تبرير موقفه ولم يقدم اعتذارا لما حدث منه بعد إطلاق سراح أندرونيقوس ، ومما دفعه إلى ذلك أنه كان يفار من قدرات ابن عمه الجسمانية والذهنية الأمر الذي أوجز صدر أندرونيقوس عليه ولم يعد بالإمكان بقاء الرجلين في مكان واحد (٣) .

أخذ أندرونيقوس يؤكد لأبن عمه محاولا النيل منه ومن سمعته مستغلا العلاقة الأثمة التي كانت تجمع بينه وبين عشيقته إيودوكيا Eudokia - إبنة أندرونيقوس شقيق الإمبراطور مانويل وأخت ثيودورا Theodora محبوبة الإمبراطور - للتشهير بمانويل وعائلته (٤) ، الأمر الذي لم يحتمله الأخير . وحتى يبعد عنه هذا الخصم العنيد لجأ عام ١١٥١م إلى

١- الجدير بالذكر أن الإمبراطور يوحنا كان يهدف من وراء حملته تلك انتزاع إمارة أنطاكية من أيدي ريموند ألف بواتيه (١١٣٦ - ١١٤٩م) وعربتها ثانية إلى الحظيرة البيزنطية ولكنه فشل في ذلك ، ولزيد من التفاصيل عن تلك الحملة انظر

Kinnamos, OP, 26. Cit., P.P. 26 - 27 : Niketas, OP. Cit., P.P. 25- 27
2- Kinnamos, OP. Cit., P.P. 27, 33 - 4 : Niketas, OP. Cit., P. 30

٣- أشار نيكيتاس إلى أن السلاجقة أطلقوا سراح أندرونيقوس دون أن يدفع فدية : والمزيد انظر :

Niketas, OP. Cit., P. 30

4-Ibid., P.P. 59 - 61

منحة لقب دوق قيليقية وكلفه بمهمة إخضاع الأمير ثوروس الثاني الأرمني Thoros II (١١٤٤ - ١١٦٧ م) (١) إلا أن هذه الحيلة لم تنطل على أندرونيقوس النامية الذي وجد أن هذه المهمة ما هي إلا حيلة لإبعاده عن القسطنطينية ، فعزم على الظهور بمظهر من لا يليق بما كلف به ، فلم يثبت أمام قوات ثوروس وفر منهزماً إلى أنطاكية ، ومنها عاد أدرجه ثانية إلى القسطنطينية (٢) .

ورغم ما حدث من أندرونيقوس ، لم يبدد الإمبراطور مانويل أي ضيق لو سخط تجاهه ولم يقم حتى بتوبيخه ، بل على العكس من ذلك فقد كلفه بمهمة الدفاع عن حدود الإمبراطورية ضد الخطر المجرى ومنح لقب دوق بلجراد Belgrade وبرانسيفو Branicevo (٣) .

١- أرسل الإمبراطور مانويل حملة عسكرية بقيادة ابن عمه أندرونيقوس كومنين لاستعادة النفوذ البيزنطي بقيليقية وتأييد الأمير ثوروس الأرمني الذي شق عصا الطاعة على السيادة البيزنطية واستولى على عدد من المدن البيزنطية بالإقليم ، ولزيد من التفاصيل من تلك الحملة راجع :

Kinnamos ,OP . Cit ., P.P. 96 - 7 : Gregoire le Pretre ,Chronique de Gregoire le Pretre , Cf. R. H. C. Dos⁵ Arm ., I , (P.P. 151 - 201) ,P.P. 168 - 170 : Guiragos de Kantzag Histoire d, Armenie , extrait , CF. R. H. C. Dos⁵ Arm ., I , (P.P. 413-430) ,P. 414 : Vahram d'Edesse , Chronique Rinee des Rois de la Petite Armenie , Cf. R. H. C. Doc . Arm ., I , (P.P. 493 - 535) ,P.P. 503 -6

ولزيد من التفاصيل عن دوافع تلك الحملة وأهم نتائجها راجع : محمود سعيد عمران : السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل الأول ١١٤٢ - ١١٨٠ م ، دار المعارف ١٩٨٥ م ، ص ١٨٩ - ١٩٤

2- Kinnamos , OP . Cit ., P.P 98 -100

3- Ibid., P.89 : Niketas , OP . Cit ., P . 58

والجدير بالذكر أن الإمبراطور مانويل قام في عامي ١١٥٠-١١٥١ بشن هجرتين للمجر لتحالفها مع الصرب ونورمان صقلية فيجنوب إيطاليا أعداء الإمبراطورية البيزنطية ولزيد من التفاصيل انظر :

Gy Moravcsik,Hungry and Byzantium in the Middle Ages,C. M.H., IV, PT .I. (2nd. ed. 1976, P.P. 567-595). P. 582

وهنا نتساءل ما الذى دفع مانويل للتصرف على هذا النحو مع أندرونيقوس ؟ هل هوسعة صدر ونبل أخلاق منه ، أنه كان مضطرا إلى ذلك اضطرارا ؟ الواقع أن مانويل كان مضطرا للتصرف على هذا النحو لأن ابن عمه أندرونيقوس يكاد يكون هو الأمير الوحيد فى البلاط الذى يجزئ على معارضة وجهها لوجه ، فضلا عما اشتهر به من تدريب المؤامرات المستمرة ضده (١) . وخير شاهد على صدق ما ذهبنا إليه هو أن أندرونيقوس بعد ما كلف بمهمته الجديدة ومنح لقب دوق بلجراد وبرانسيغو لم يكف عن التآمر ضد مانويل ، بل حاول أيضاً الإطاحة به فعرض على جيذا Geza ملك المجر التنازل له عن ولايته مقابل مساعدته فى الاستيلاء على العرش البيزنطى والقضاء على مانويل (٢) ، كما أنه أرسل السفارات إلى إمبراطور ألمانيا فريديريك الأول بربوسا Frederick I Barbarossa (١١٥٢-١١٩٠م) لطلب المساعدة منه فى الوقت المناسب (٣) .

وتعددت القرائن والأدلة فى أيدي مانويل وتؤكد من خيانة ابن عمه له فذهب إليه فى معسكر بلاجونيا Pelagonia - غربي مقدونيا - وهناك حاول أندرونيقوس إغتيال الإمبراطور أكثر من مرة ، إلا أنه فشل فى ذلك وقبض عليه الإمبراطور وزج به فى سجن القصر الكبير بالعاصمة (٤) .

1- Ostrogosky, OP . Cit ., P. 395

٢- والجدير بالذكر أن جيذا ملك المجر والتقى عرض أندرونيقوس السابق وتوجه إليبرانسيغو ، وهناك علم بالقبض على أندرونيقوس ففشل مخططة ونجحت القوات البيزنطية من رد قواته على أعقابها ، وللمزيد انظر :

Kinnamos ,OP . Cit ., p.p. 86 - 133

3-Ibid ., P. 100: Cf . also , Gy Moravsik , OP . Cit ., P.P. 581- 82 : Baudrillart, OP. Cit., P. 1174

ولم تدنا المصادر المتاحمة بمعلومات توضح لنا رد فريديريك برباروسا على طلبه أندرونيقوس

٤- أسهب كيناموس Kinnamos فيذكر تفصيل أندرونيقوس ضد الإمبراطور مانويل ، من ذلك انظر :

Kinnamos , OP. Cit., P.P. 100 - 3 : Niketas ,OP . Cit ., P.58

لقد كانت فترة أسر أندرونيقوس الطويلة والتي امتدت من عام ١١٥٥ م إلى عام ١١٦٤ م مائة خصبة لسلسلة من القصص والطرائف (١) ، إذ حاول خلالها الهرب أكثر من مرة ، إلا أنه فشل في ذلك (٢) . وظل يعاود المحاولة تلو الأخرى إلى أن نجح أخيرا في ذلك عام ١١٦٤ م بفضل مساعدة زوجته له ، والتجأ إلى دوق روسيا العظيم ياروسلاف Yaroslave في جاليتشيا Halitich الواقعة على نهر الدينستر Dneister حيث أكرم ياروسلاف نزله وأحسن وفادته مما أثار قلق الإمبراطور مانويل الذي لم يكن يأمن قط بجانب أندرونيقوس ففضل مسامحته والعفو عنه عن أن يتركه بعيدا عنه لا يدري شيئا عما يدبره ضده من مؤامرات ، فاستدعاه إلى القسطنطينية ليكون تحت سمعه وبصره ، إذ خشى أن يتحالف أندرونيقوس مع ياروسلاف ويشكلا خطرا جديدا على دولة قسطنطينية ثانية معززا مكرما إلى القسطنطينية (٣) .

أمل الإمبراطور مانويل هذه المرة أن يعيش أندرونيقوس في العاصمة في سلام ويتخلى عن تدبير المؤامرات وإثارة الفتن ضده ، ولكن خاب أمله ، إذ لم يكن بوسع ابن عمه أن يتخلى عن روح القدر والخيانة التي تأصلت في دمه . فعن المعروف أن مانويل حتى ذلك الحين (لواخر سنة ١١٦٥ أوائل سنة

Charlecites Dichl , OP. Cit., P.P. 86 - 133

Kinnamos , OP . Cit., P.P. 175- 77 Cf . also , Vasiliev, OP . Cit., P. 378

Kinnamos, OP. Cit., P.P. 175 , 188 , Cf . also , Ostrogorsky , OP. Cit., P. 395

١١٦١ م) لم ينتجب وليا للعهد فاراد توحيد إمبراطورية المجر مع إمبراطورية بيزنطة عن طريق المصاهرة بأن يزوج ابنته ماري Mary من الأمير بيلا Bela الذي سيؤول إليه عرش المجر في مابعد ليكونا خليفية على عرش البلاد (١) . وعندما طلب من أندرونيقوس أن يحلف يمين الولاء لهما باعتبارهما ورثة العرش رفض أداء اليمين . وكان من الممكن أن يتقاضى مانويل عن اعتراض أندرونيقوس إذا توقف الأمر عند ذلك الحد ، إلا أنه حينما رأي أن رفض أندرونيقوس يلقي صديدي لهدي العديد من أمراء البلاط الآخرين خشي ما نويل من عواقب ذلك ، فاضر إلي إبعاد أندرونيقوس عن القسطنطينية وإرساله إلي قيليقية مرة أخرى عام ١١٦٦ م (٢) ، إذ عهد إليه الإمبراطور مانويل مهمة إخضاع الأمير ثوروس الأرمني فلم يكن من أندرونيقوس سوى تكرار ما فعله في المرة السابقة (٣) ، وأكثر من ذلك قام بقتل ستيفاني Stephani شقيق الأمير ثوروس مما أثار حفيظة الأرمن الذين

١- من المعروف أن الإمبراطور مانويل نظرا لعدم وريث يخلفه على عرش البلاد حتى ١١٦٦ م عمد إلى زواج ابنته ماري من الأمير المجرى بيلا ليخلفه على عرش القسطنطينية ويوحد بذلك عرش المجر وبيزنطة ، إلا أنه في نهاية ١١٦٩ م ولد لمانويل ابنه أليكسيوس من زوجته ماري لأنطاكية فتغيرت خطة السابقة لوراثة العرش فبدلاً من أن يتزوج بيلا ابنه الإمبراطور تزوج من أن دي شاتيلون Anne de Chatillon وغادر القسطنطينية عام ١١٧٢ م للتربع على عرش المجر بعد أن أدى يمين الولاء له موضحاً أنه سيرعى دائماً جانب الإمبراطور الإمبراطورية وسيحافظ على صداقته وتحالفة مع بيزنطة ، ولزيد من التفاصيل راجع:

- Kinnamos, OP. Cit., P.P. 163, 214 . : Niketas , OP. Cit., P.P. 73, 78
 Cf. also , Moravcsik, OP. Cit., P.P. 583 - 84
 2- Kinnamos ,OP. Cit., P.P . 163 , 188 Cf . also , Hussey J . M. The Byzantine World , London, 1967 , P.61
 3- Niketas ,OP. Cit., P. 79

قاموا بالانتقام من الرعايا البيزنطيين بالمنطقة وقتلوا منهم أعداداً كبيرة (١) .
ولما رأى أندرونيقوس أنه لا مقام له بقيليقية وسط ثورة الأرمن وانتقامهم
رحل إلى أنطاكية حيث دخل في علاقة غرامية جديدة مع الأميرة فيليبيا
Philipa شقيقة الإمبراطورة ماري زوجة ملنويل ، مما أثار غضب الأخير
وحذره عليه (٢) . ولما رأى أندرونيقوس أن الجو لم يعد مناسباً للإقامة في
أنطاكية والإستمرار في تلك العلاقة ، تركها متوجهاً صوب مملكة بين المقدس
التي وصلها أثناء غياب الملك عموري الأول ١١٦٢ - ١١٧٤م في حملته على
مصر (٣) . وعندما عاد الملك من حملته أعجبه ما عليه أندرونيقوس من
وجاهة ووسامة ، فضلاً عما جلبه معه من جنود وأموال كانت هوناً كبيراً
للملك (٤) . وطلب أندرونيقوس من الملك عموري التوسط بينه وبين الأمير

١- من ظروف تولية أندرونيقوس إقليم فيليقية وثلاثة الأمير استيفاني شقيق ثودوس ورد
الفعل الأرمني انظر:

Sempad , le Conetable , Chronique du Royaume de la Armenie ,
extrait Cf . R. H. C.Doc. Arm., 1, (P.P. 616-19)P. 621;Guiragos de
Kantzag, OP. Cit., P. 416 ; GregoirelePretre,Op.Cit., P. 198.

٢- كسبب انطاكيا على تفصيل علاقة أندرونيقوس بفيليبيا انظر:

Niketas ,OP. Cit., P.P. 79-80; Kinnamos , OP. Cit. , P. 188.

٣- ماتت الأميرة فيليبيا كمدأ بعد سنوات قليلة من خسر أندرونيقوس بها، ولزود من
التفصيل عن ذلك انظر :

Niketas ,OP. Cit., P. 79

بينما نكر العموري أن أندرونيقوس قد تزوج من فيليبيا ثم طلقها، وهذا خطأ واقع فيه المؤرخ
انظر :

William of Tyre, A History of Deeds Done Beyond The Sea , Trans .
by Bad Cock and Krey, 2 vols, New York, 1943Vol. 2, P.P. 416 - 17.

ومن وصول أندرونيقوس إلى مملكة بيت المقدس انظر :

Ibid. , P. 345.

٤- نكر نيكيتاس أن أندرونيقوس أخذ الخسرات التي من قبرص وقيليقية ولهب بها إلى
بيت المقدس وورقته أمداد لا بأس بها من الفرسان عن ذلك انظر:

Niketas ,OP. Cit., P. 78 ; Kinnamos, OP. Cit., P. 188; William of Tyre,
Op. Cit., P. 345

ثوروس فوعده بذلك (١) ، ولما قام الإمبراطور مانويل بعزل أندرونيقوس عن حكم إقليم قيليقية ترضية لخواطر الأرمن جهة ، وعقاباً لأندرونيقوس من جهة أخرى ، قام الملك عموري بمنحة إقطاعية بيروت تعويضاً له وذلك في عام ١١٦٧م (٢) . والواقع أن حكم أندرونيقوس لبيروت كان حكماً صورياً إذ لم يكن لديه من الوقت ما يقضيه في تصريف شئون إقطاعيته ، بل كان مشغولاً بعلاقته الغرامية الجديدة مع ثيودورا أرملة الملك بلدوين الثالث وقريبة الإمبراطور مانويل ، وهي شابة في مقتبل العمر وعلي قدر كبير من الجمال وكانت تملك إقطاع عكا كميراث من زوجها الراحل وشاعت في أرجاء مملكة بيت المقدس تفاصيل تلك العلاقة الأثمة (٣) ، فاستشاط الإمبراطور غضباً عند سماع انتهاء تلك العلاقة ، فأرسل علي الفور خطاباً إلي الملك عاموري ملك بيت المقدس يحثه فيه علي ضرورة القبض علي أندرونيقوس وسمل عينيه وإرساله إلي القسطنطينية (٤) . واحسن حظ أندرونيقوس وقع ذلك الخطاب في أيدي أميرة ثيودورا التي أطلعت علي لمحي ما جاء به ، ولما رأي أندرونيقوس أنه ليس من الحكمة الإستمرار في الإقامة في بيت

Michel le Syrien , La Chronique de Michel le Syrien , Cf. R., H. C.-١
Doc. Arm. T. 1 (P.P. 309-409)P. 355

٢- أرسل الإمبراطور مانويل القائد قسطنطين كولمان Constantine Colmon ليحل محل أندرونيقوس في حكم قيليقية من جهة ، وفي قلب فيليبيا إن أمكن من جهة أخرى ،
عن ذلك انظر :

Niketas ,OP. Cit., P. 80

لما من منح الملك عموري بيروت لأندرونيقوس راجع :

William of Tyre , Op. Cit., li, P. 395

٣- عن حكم أندرونيقوس لإقطاعية بيروت وتفاصيل علاقته بثيودورا راجع : محمد محمد
فرحات : بيروت ونورها في الصراع الصليبي الإسلامي ١١١٠ - ١٢٩١م / ٥٠٣ - ٦٩٠ هـ
رسالة نكتوراه لم تنشر بعد ، الإسكندرية ١٩٩٤م من ٢٣٠ - ٢٣

Niketas ,OP. Cit., P. 80 Cf. also , Vasiliev , OP. Cit., P. 378 -٤

المقدس ، نظراً لأن الملك عموري لم يكن بوسعه رفض طلب الإمبراطور ، هذا من جهة ، ورفضت الكنيسة زواجه من ثيودورا نظراً صلة القرابة الوثيقة بينهما (١) من جهة أخرى ، لذا فضل الرحيل معها عن المنطقة والتوجه صوب دمشق حيث الملك نور الدين محمود الذي أكرم ولادتهما . ومن دمشق أخذاً بجويان بالاط أمراء الشرق حتي استقرا في النهاية في إحدى القلاع علي الحدود التركية البيزنطية لدي إحدى الأمراء الأتراك ومنها أخذ أندرونيقوس يعترض طريق القوافل التجارية ويشن الغارات علي الحدود البيزنطية (٢) .

كما سبق يتضح لنا أن أندرونيقوس قد تعمد الكيد لإبن عمه والنكايه به والعمل علي إنزاله والتشهير به وبسمعته عن طريق تلك العلاقة العاطفية الآثمة ، فوق اختياره علي كل من لها صلة قرابة بالإمبراطور مانويل ليكون ذلك لشد في الإذاء والمهانة . ولعلنا لم نجانب الصواب عندما نؤكد أن ما لاقاه أندرونيقوس من شهره بسبب مغامراته العاطفية في القرن الثاني عشر ، لم يكن مرده إلي كثرة مغامراته أو علاقته مع الأميرات البيزنطيات علي وجه الخصوص بقدر ما كان لهؤلاء الأميرات من مكانة ومنزلة وعلاقة وثيقة بالإمبراطور مانويل .

ويتفرد الرحالة ابن جبير برواية ذكر فيها أن أندرونيقوس قد اعتنق الإسلام ، وسبق له صليب ذهبي قد أحمي عليه في النار ، فوضعه تحت قدمه

١- يعتبر أندرونيقوس ابن اسحق شقيق الإمبراطور يوحنا الثاني في حين كانت ثيودورا ابنة اسحق بن يوحنا الثاني لنظر :
Niketas ,OP. Cit., P. 128 ,N. 610

٢- Kinamos , OP. Cit., P. 188; Niketas , OP. Cit ., P. 81

انظر أيضاً : ابن جبير : الرحلة ، ص ٢٢٤

وهي عندهم أعظم علامات الترك لتبين التصرانية والوفاء بلمعة دين الإسلام^(١) . والواقع أن الباحث لا يميل إلى الأخذ بما أوردته تلك الرواية السابقة ، فكثابت أن أندرونيقوس قد أقام فترة ليست بالقصيرة لدى السلطان قلع أرسلان الثاني سلطان قونية (١١٥٦ - ١١٨٨ م) الذي كان له فضل كبير عليه أثناء تلك الفترة وما بعدها (٢) ، فقد سمح له خلال إقامته عنده باتخاذ بلاده قاعدة لشن الغارات على حدود الدولة البيزنطية وإعتراض طريق القوافل وغير ذلك من الأعمال . وعلى الرغم من كل ذلك فإن الباحث لا يميل إلى الأخذ بما أوردته رواية ابن جبير ، نظراً لأن مبادئ الإسلام وسماحته تنهي عما قام به أندرونيقوس من أفعال لاحقة . وإن صح أن أندرونيقوس اعتنق الإسلام فمن غير شك أنه كان يتظاهر به فقط دون الإعتقاد فيه وربما فعل ذلك ترضية للسلطان قلع أرسلان الثاني ، وليس عن إقتناع شخصي بالإسلام ليستدر عطفه وليبقي على تلك الرعاية التي يوليها إياه السلطان قلع أرسلان الثاني (٣) ، ولربما يكون ذلك من التمثيليات التي كان يجيد لعب أدوارها ليتفادي بذلك قرار الكنيسة بحرماته الزواج من ثيودورا - التي كان مولعاً بها - لصلة القرابة بينهما .

ومن العجيب أن بعض المصادر المعاصرة أشارت إلى أن الوحشية التي اتسم بها أندرونيقوس خلال فترة حكمه إنما كان مربها إلى المدة الزمنية الطويلة الطويلة التي قضاها في بلاد المسلمين ، وقد اقتنفي بعض المؤرخين

١- ابن جبير : نفس المصدر والصفحة

٢- لمد السلطان قلع أرسلان الثاني أندرونيقوس بأعداد كثيرة من الأتراك عند دخوله القسطنطينية في ربيع ١١٨٢ م ، عن ذلك انظر : ص ١١ من هذا البحث

٣- ابن جبير : للمصدر السابق ص ٢٢٤

المحدثين أثر هذه المصادر وأيدوها فيما روت^(١) . قتلوا صبح إسلام أندرونيقوس كما أشار ابن جبير لتحسنت أخلاقه ، فالإسلام يحض علي حسن الخلق هذا من جهة ، ولو سلمنا بما أوردته المصادر والمراجع الأجنبية عن ازدياد وحشية أندرونيقوس كومنين أثناء فترة حكمه للدولة البيزنطية ، فإننا لا نتفق مطلقاً مع هذه المصادر في أن سبب هذه الوحشية هو معاشرته للمسلمين وتأثره بسوء طباعهم وأخلاقهم من جهة أخرى .

ازداد غضب الإمبراطور مانويل على ابن عمه أندرونيقوس لمقامه لدى الأمراء المسلمين من جهة ، وما يقوم به من اعتداءات على الحدود البيزنطية من جهة أخرى ، ولم يدخر وسعاً للقبض عليه والانتقام منه ، إلا أنه فشل في ذلك وإن تمكن من الإيقاع بزوجة وأولاده (٢) . ولما كان أندرونيقوس مخلصاً في حبه لثيودورا فإنه لم يتحمل فراقها وحزن لذلك حزناً شديداً ، واضطر إلى المشول بين يدى ابن عمه مانويل متذللاً طالها الصفع والغفران ، فرق قلب مانويل له وعفى عنه في يوليو ١١٨٠م ، إلا أنه لم يبقه معه في القسطنطينية ، بل منحه حكم إقليم بونطس Ponts على البحر الأسود ليقيم فيه بعيداً عنه وكان ذلك بمثابة منفى مكرم لقريب خطر يخشى جانبه (٣) . ولم يمض

1-Nikefias ,OP. Cit., P.194 , Cf . also, Charles Diehel , OP , Cit.,P. 123

2- Niketas ,OP. Cit., P. P. 81-128.

3-Ba rHebraeus,the ChronographyofGregory Abu'l faraj. Translated from the Syriac by Ernest A. Wallis Budge , Vol .I, London , 1932 , P.312 : William of Tyre , Op. Cit., P. 463 : Niketas ,OP. Cit., P. 123 ,Cf . also , Hussey , the latre Maccdonians , the Comneni and the Ang'eli,1025-1204,C.M.H.IV Pt. Part.1, 2nd. ed.Hussey , Cambridg'e 1976, (P.P. 193 - 259) , P. 244

لننظر أيضاً : محمد الشيخ : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، دار المعارف الجامعية ،
للكندرية ١٩٩٤ ، ص ٣٧٧

أكثر من ثلاثة شهور على مقامه ببونطس حتى مات الإمبراطور مانويل عام ١١٨٠م ليتجدد الأمل مرة أخرى في نفس أندرونيقوس ويتطلع للتريع على عرش القسطنطينية (١) .

تريع على عرش القسطنطينية بعد موت مانويل ابنه القاصر الكسيوس الثاني Alexis II من زوجة اللاتينية ماري الأنطاكية Mary of Antioch التي تولت الوصايا عاى أبنها لحين بلوغه سن الرشد (٢) . ولم تكن ماري تتمتع بأى شعبية في القسطنطينية على الإطلاق ، إذ كانت تمثل بالنسبة لشعبها امتدادا لسياسة مانويل اللاتينية المفقودة من قبل عامة الشعب ، ومن رجال الكهنوت البيزنطيين الذين يرفضون الاتحاد مع كنيسة روما الكاثوليكية ، كما كانت مكروهة من قبل الطبقة البرجوازية التي لم تحتل تلك المنافسة الكريهة من قبل الجاليات الإيطالية التي تمتعت بامتيازات عديدة داخل حدود الإمبراطورية (٣) . ومعاً قلل أيضا من شعبيتها سحبها السلطة

1- Niketas ,OP. Cit., P. 128.

2- Ibid ., P. 153 , William of tyre , OP . Cit., P . 461

انظر أيضا : روبرت كلاري : المصدر السابق ص ٥٥ ، ابن جبير : أرحلة ص ٢٢٤ ، في حين نذكر أن تول ان مانويل قبل موته استند الوصاية إلى أندرونيقوس وهذا خطأ وقع فيه المؤرخ انظر :

Ernol , Chronique d' Ernol et de Bernard le Tresorier , Ed . L. d Mas Latrie , Paris , 1871, P. 89

٢- أرجع المؤرخ وليم الصوري سبب كراهية البيزنطيين للأتين إلى عاملين رئيسيين هما العامل الدينى والعامل الإقتصادى عن ذلك انظر :

William of tyre , OP . Cit., P . P . 461-62 Cf. also , R. Cessi , Venice to the eve of the fourth crusade , C.M.H.,IV,Pt, 2nd . ed ., 1976 , (P.P. 251- 274) , P.P. 273- 74

انظر انظر أيضا : روبرت كلاري : فتح القسطنطينية ص ٥١-٥٢

من بين يدى جميع أمراء الدولة لتمنحها كاملة إلى محبوبها الكسيوس كومتين الملقب بالبروتوسيباستوس (١) Aexios Protosebastos ابن أخ الإمبراطور مانويل الذى لم يحظ بتأييد وحب الشعب بل على العكس من ذلك كان معقوتا بغیضا وقد استحوذ على كل السلطات وأخذ يتصرف فيها وفق هواه (٢) ، لذلك أخذت البلاد تغلى من الداخل منتظرة الوقت المناسب للتخلص من تلك الزمرة الحاكمة .

قامت عدة محاولات يتزعمها أفراد من البيت الكومنينى تساندها الكنيسة والشعب للإطاحة بهذا النظام ولكن ذهبت مثل هذه المحاولات جميعها لدراج الرياح وذلك لأن المعارضة كان يعوزها القائد المؤثر فى القسطنطينية (٣) وتطلعت أنظار المعارضة إلى أندرونيقوس كومتين الذى كان مقيما وقتئذ باقليم بونطس وإجا إنية عدد كبير من الثائرين على تلك الأوضاع (٤) ، مما جعل الفرصة سانحة أمامه للتحرك خصوصا وأنه يعلم بواطن الأمور وخفاياها من أبنائه المقيمين بالقسطنطينية وقد اتخذ أندرونيقوس من اليمين الذى سبق أن حلفه لأليكسيوس الثانى أمام مانويل

١- من هذا اللقب انظر ما سبق ص ١ من هذا البحث حاشية رقم (١)

٢- اوضح لناويليم الصورى ان أليكسيوس كان يكنى مكروها من قبل البيزنطيين فحسب بل من قبل الاتين أيضا ، فذكر أنه كان يجمع ويخيل لا يري الإنفاق من اخزية الإمبراطورية وكأنه كان قد جمعها بنفسه وبيع جبينه . وأشيع أيضا أنه قد أقام علاقة إجرامية مع الإمبراطورة معانها كانت قد ترميت بعنصر زوجها ، وعلاوة على ذلك كان رجلا متعجرفا وفي غاية التكبر وعنده نفسه متفوقا على الجميع واستخدم كل شيء حسب رغباته الخاصة ومن مشاركة البسالة الآخرين ، وبدأ أنه لا يهتم بشيء بالنسبة لباقيين معانهم كانوا رجالا عظاما محسرة مساوية تماما لمنزلة . انظر :

Willam of Tyre, OP . Cit., P . 461, Cf. also, Niketas, OP . Cit., P . 167

3- Ostrogorsky, Hist. of the Byzantine State, P.P. 350-51

4- William of tyre, OP . Cit., P.P. 462-63

لربعة لكتابة عدد من الرسائل موجهة إلى كل من البطريق والوصية يحتج فيها على تلك الاضطرابات التي من شأنها تهديد ملك اليكسيوس الثاني (١).

وفي ربيع ١١٨٢م حشد أندرونيقوس عددا متواضعا من القوات من بينهم بعض الأتراك (٢) وسار متوجها صوب القسطنطينية وفي الطريق أخذت قواته تنمو باضطراد نتيجة للأعداد الغفيرة من الفساق الذين انضموا إليه. وعندما حاول اليكسيوس البروستيفانوس منع أندرونيقوس من عبور البرسفور عن طريق قلعة باسطوله الذين كان تشكل في معظمه من الغربيين (٣)، وانحاز قائد الاسطول الأميرال أندرونيقوس كوستوستيفانوس Andronicus Contostephonus وعدد كبير من الفرق العسكرية إلى جانب أندرونيقوس كومندين مما عزز موقفه (٤).

أما على الجانب الآخر من البرسفور فقد انتهز الشعب الغاضب في القسطنطينية هذه الفرصة لينفس عن الحقد والكرامية التي يكنها للأتراك من جهة ، والقائمين على الحكم من جهة أخرى فقام بالقبض على اليكسيوس البروتوسباستوس وقادوه إلى أندرونيقوس الذي عقد له محكمة صورية ، وأمر بسمل عينيه وزج به في غياهب السجن (٥) . ثم أخذ الشعب

1- Niketas, OP. Cit., P.P. 136-37, Cf. also, Charles Diehl, OP. Cit., P.P. 114-15

2- Niketas, OP. Cit., P. 137

انظر أيضاً: ابن جبير، الرحلة، ص ٢٢٤، في حين ذكر ويليام الصوري أنهم من البرابرة

Cf. William of Tyre, OP. Cit., P. 462

3-Niketas, OP. Cit., P. 139

انظر أيضاً: هايد: للرجع السابق، ج١، ص ٢٢٢

4- William of Tyre, OP. Cit., P.P. 461-67; Eustathios of Thessalonica, OP. Cit., P.P. 30-4, Cf. also, Ostrogorsky, OP. Cit., P. 395

5-Niketas, OP. Cit., P. 140; William of Tyre, OP. Cit., P.P. 463-64

يفرغ تلك الشحنة الهائلة من الكرهية والحق في كل من وجدوه أمامهم من اللاتين وارتكبت مذبحه مروعة راح ضحيتها عشرات الآلاف منهم . كما أرسل أندرونيقوس بعض الفرق العسكرية للمشاركة فيها (١) . وهذا خطأ إنزال في أندرونيقوس وكان من الأجدي له أن يعبر سريعا إلى العاصمة ليكبح جماح هذه الثورة ، ويضع حدا لتلك المذبحة الرهيبة حتى يظهر أمام الغرب الأوربي بأنه لم يشترك في هذا العمل البغيض ، بل عمل على وضع حد له ، ليبينوا أمامهم وكأنه غير معادي لهم ، مما كان سيجنبه الكثير من الأخطار . فلم يستطع أندرونيقوس أن يكبح جماح نفسه أو شعبه عن هذا الأمر وتناسى أنه سيصبح عما قريب أمبراطورا لهذه البلاد وبفعله هذا جلب على نفسه وعلى دولته أخطارا كان في غنى عنها .

على أي حال بعدما عبر أندرونيقوس البسفور إلى العاصمة استقبله الناس على اختلاف طبقاتهم على أنه المنتقذ والمخلص (٢) لهم ورفعوا البعض إلى درجة التبجيل . وظهر أندرونيقوس في قمة النفاق عندما أعلن أنه لم يأت سوى للحفاظ على الإمبراطور القاصر وحمله إلى كنيسة سانت صوفيا حيث توج هناك (٢) .

١- لمزيد من التفاصيل عن ثورة القسطنطينية ورد الفعل الاتيني عليها راجع :

William of Tyre, OP.Cit., P.P. 461-67; Eustathios of Thessalonica, OP. Cit., P. P. 33-35; Michele le Syrian, OP. Cit., P.P. 389-92; Bar Hebraeus, OP. Cit., P. 312; Vartan I Grand, Abrege, d'Histoire Universelle, Cf. R.H.C., Doc. Arm., I, (P.P. 431-43), P. 437

2- Niketas, OP. Cit., P. 147 Cf. also, Charles Diehl, History of the Byzantine Empire, Translate dfrom the French by George B. Ives, New york, 1945, P. 113, 132

3- Nikets, OP. Cit., P.P.147

أخذ أندرونيقوس يعمل جاهداً على إحلال أنصاره ومؤيديه محل معارضيه ومناوئيه الذين أخذ يتخلص منهم بشتى الطرق ولم يفرق في ذلك بين قريب له أو بعيد ، ولكي يحقق ذلك أقترف الكثير من الجرائم البشعة ما بين خنق وقتل وسجن وفساد للسم ونفى وسمل للأعين إلى غير ذلك من ألوان التنكيل والتعذيب التي لم يستطع أن يترفع عنها رغم أنه حقق تقريباً ما كان يصبوا إليه من قبل ، فنراه مثلاً يجبر الإمبراطور اليكسيوس الثاني القاصر على توقيع قرار يقضى بإعدام والدته ماري الأنطاكية الخيانة وتحريض ملك المجر على غزو الدولة البيزنطية (١) . أما الأميرة ماري ابنة الإمبراطور مانويل وزوجها فقد لقيا حتفهما من جراء تناولهما طعاماً مسموماً (٢) . وتتوالى الأحداث حتى يصدر مجلس الشيوخ قراره بإشراك أندرونيقوس في أمور الإمبراطورية. ويقدرته المعروفة على التمثيل يرفض أندرونيقوس الجلوس على العرش العرش في بداية الأمر ، ولكن الجموع الغفيرة من الشعب تجبره على قبول ذلك ليصبح إمبراطوراً مشاركاً مع اليكسيوس الثاني وذلك في شهر سبتمبر من عام ١١٨٣م (٣) .

لم يبق أمام أندرونيقوس إلا أفراد بعرض القسطنطينية سوى التخلص من الإمبراطور القاصر اليكسيوس الثاني الذي وجد مخنوقاً - بإيعاز من أندرونيقوس على الأرجح - في فراشه ليلاً وتم إلقاء جثته في البسفور في

1- William of Tyre, OP. Cit., P. 467; Niketas, OP. Cit., P. 149; Bar Hebraeus, OP. Cit., P. 312

2- Niketas, OP. Cit., P.P. 144-45

بينما ذكر ابن العبري انهما لقيا حتفهما فرقاً ، انظر:

Bar Hebraeus, OP. Cit., P. 312

3- Niketas, OP. Cit., P.150; Eustathius of Thessalonica, OP. Cit., P. 51

انظر أيضاً : أومان : المرجع السابق ص ٢١١

نوفمبر من عام ١١٨٣ م (١). أما الأميرة الفرنسية لجنس Agnes زوجة
اليكسيوس الثاني ذات الأحد عشر عاما وإبنة الملك الفرنسي لويس السابع
فقد تزوجها أندرونيقوس على الرغم من بلوغه سن الثالثة والستين ،
والغريب في الأمر أن أندرونيقوس لم يخجل من فعل ذلك رغم أنه بلغ من
الكبر عتيا ، والأعجب من ذلك أن الأميرة لم تبد أى معارضة وتقبلت الأمر
بصدر رحب رغم فارق السن الكبير بينهما (٢) . ولعل أندرونيقوس قد أقدم
على هذا الزواج ليضفى على حكمه صفة الشرعية بزواجه من أرملة
الإمبراطور السابق .

ومهما يكن من أمر ، فبعدما انفرد أندرونيقوس بحكم الدولة البيزنطية
كان عليه أن يدير شئون البلاد خارجيا وهي تبعة مثقلة بالمتاعب جلبها على
نفسه ودولته نتيجة لموقفه أثناء وبعد ثورة القسطنطينية ١١٨٢ م - كما
سبقت الإشارة (٣) - وقبل أن نستعرض تفاصيل تلك السياسة يجب أن
نشير هنا إلى أن المصادر المتعلقة بفترة حكم أندرونيقوس كومنين (١١٨٣ -
١١٨٥ م) بصفة عامة وسياسة بيزنطة الخارجية إبان فترة حكمه بصفة

1-Niketas, OP.Cit., P.153; Bar Hebraeus, OP.Cit., P.321; Ernoul, OP.
Cit., P. 90 Cf. also, Ostrogorsky, OP. Cit., P. 396

2- Niketas, OP. Cit., P. 153; William of Tyre, OP. Cit., P. 467; Franz
Dölger, ed., Regesten der Kaiserurkunden des Ostromis Chen Reichs
Von 566 - 1453 , in C.G.U.M.N.Z. ., Munich and Berlin , 1924- 1960 ,
No . 1555 : Bar Hebraeus , OP. Cit., P. 312

ولزيد من التفاصيل عن شخصية الأميرة لجنس وزواجها من اليكسيوس الثاني
وأندرونيقوس كومنين وما حدث لها بعد ذلك ، راجع :

Charles Diehl, Figures Byzantines Deuxiem Serie, Paris, 1908,
P.P.191-205

٢- راجع ما سبق ص ١١ من هذا البحث

خاصة ، قليلة للغاية ولم تمدنا بمعلومات تشفى غلة الباحث واكتفت بذكر إشارات مقتضبة عن علاقات بيزنطة الخارجية مع بعض البلاد المجاورة وصممت عن البعض الآخر (١) . ولعل السبب في ذلك يرجع إلى قصر الفترة الزمنية التي تربع فيها أندرونيقوس على عرش الدولة البيزنطية هذا من جهة ، وانشغاله بالسياسة الداخلية وتصفية معارضيه من جهة أخرى (٢) ، الأمر الذي لم يعطه فرصة للإهتمام بالسياسة الخارجية للدولة البيزنطية .

على أي حال فرضت العلاقات المجرية البيزنطية نفسها على مسرح الأحداث السياسية حتى قبيل تربع أندرونيقوس على العرش ، إذ قامت الوصية ماري الأنطاكية - عندما استشعرت رغبة أندرونيقوس في الاستحواذ على العرش - بإرسال عدة خطابات إلى زوج أختها بيلا الثالث Bella III ملك المجر تلح عليه بضرورة الإسراع إلى القسطنطينية لحمايتها وابنها الإمبراطور القاصر أليكسيوس الثاني من أطماع أندرونيقوس (٣) . وعندما علم أندرونيقوس بتلك المراسلات قام على الفور بالقبض عليها وعقد لها

١- والجدير بالذكر أن المصادر لم تمدنا بمعلومات توضح لنا سياسة بيزنطة الخارجية سوى مع المجر ، البندقية ، البابوية ، صلاح الدين في الشرق وأخيرا مع نورمان صقلية

٢- ينفرد المؤرخ نيكيتاس خونيئاتس بذكر تفاصيل أعمال أندرونيقوس الداخلية ، وأرضح أنه نجح في إنعاش الاقتصاد البيزنطي عن طريق محاربة الطبقة البرجوازية وإجبارهم على رد الأراضي التي اغتصبوها بغير حق من أهلها ورفع رواتب حكام الأقاليم لمنعهم من بتزاز الشعب ، كما منع محصيل الضرائب من الطبقة بالتحصيل مقبضا مبلغ العام التالي ، وعدم استغلال نفوذهم . كما أرسل في كل الولايات مراقبين مهمتهم وضع حد للتجاوزات والانحرافات بكل صورها وأصدر قانونا يقضي بعدم نهب السفن التي تحطم في الموانئ البيزنطية وشدد العقوبة على المخالفين ، غير أنه أسرف في معاداة الطبقة البرجوازية التي وجدت نفسها في عدااء صريح معه ، وللمزيد عن السياسة الداخلية انظر :

Niketas, OP. Cit., P.171-74

3- Ibid, P.149: Cf . also ,Moravcsik, OP.Cit.,P. 584: Ostrog'orsky, OP. Cit.,P. 399

محاكمة قضت بإعدامها لخيانتها وتحريضها ملك المجر على غزو القسطنطينية . وإمعانا في النكاية بها جعل ابنها اليكسيوس يوقع بنفسه - راغبا أو راغما - على قرار إعدامها (١) . ولم يقض وقت قصير حتى قام أندرونيقوس بالتخلص من اليكسيوس الثاني نفسه ليفوت بذلك على بيلا الثالث فرصة الحضور إلى القسطنطينية بحجة حماية شقيقة زوجته وابنها القاصر .

عندما وصلت أنباء موت ماري الأنطاكية وابنها اليكسيوس إلى مسامع بيلا الثالث تميز من الغيظ لإجترأ أندرونيقوس على تلك الفعلة وأدرك الغاية من ورائها . ومع ذلك لم يغير بيلا من عزمه على غزو القسطنطينية ، قبللا من أن يحضر إليها بوصفه مدافعا عن شقيقة زوجته وابنها تذرع بخطط مانويل السابقة والتي كان تتخول له حكم الدولة البيزنطية ، فتحالف مع ستيفن نيمانجا Steven Nemanja ملك الصرب وسار جنوبا متوغلا داخل حدود الدولة البيزنطية حتى يوصل إلى بلجراد وبرانسيفو وعائنا في المنطقة قسانا (٢) .

عندما علم أندرونيقوس بالتحركات المجرية أمر قائدية الكسيوس براناس Alexios Branas وأندرونيقوس لابارداس Andronikos Lapardas بالتصدي لبيلا وقواته ، غير أن لابارداس تمرد على سلطة الإمبراطور وترك قيادة الجيش وفر إلى المناطق الشرقية أملا أن يلفت حوله المعارضون لحكم أندرونيقوس ، إلا أنه فشل في ذلك وأنتهى به الحال إلى وقوعه في أيدي رجال أندرونيقوس الذي أمر بسمل عينيه وإيداعه في أحد الأديرة ليقتضى نحيبه هناك (٣) . أما القائد براناس فقد تمكن من التصدي للقوات المجرية وأوقف

1- Niketas, OP. Cit., P.149

2- Idem ., Cf. also, Hussey , the Later Macedonians, the Commen and the Ang'eli, P. 245

3- Niketas, OP. Cit., P.159

زحفها داخل الحدود البيزنطية ولجبرها على التفتقر إلى داخل أراضيها (١) ،
ثم استدعاه أندرونيقوس للاستعانة به في إخماد ثورات بعض المدن التي
تمردت على حكمه لواخر عام ١١٨٣ م (٢) .

ظل بيلا الثالث ملك المجر يحدوه الأمل للفوز بعرش بيزنطة رغم فشله
في المرة السابقة فحاول في هذه المرة عام ١١٨٤ م التقرب من البيت الكومنيني
عن طريق طلب الزواج من ثيودورا شقيقة مانويل الكبرى - الوحيدة التي
بقيت في عائلة مانويل والتي أعتيل زوجها الثاني على يد أندرونيقوس - ليعيد
التحالف البيزنطي المجرى مرة أخرى ، وليكسب ولاء للزيد من نبلاء البيت
الكومنيني وغيره وما كاد أندرونيقوس يسمع بأنباء تلك الاتصالات حتى قام
بإرغام الأميرة ثيودورا على دخول الدير والتسرع في سلك الرهبانية رغماً
عن إرادتها ، بينما ظلت قوات بيلا الثالث على الحدود البيزنطية منتظرة الإن
بالدخول إلى العاصمة (٣) ولم يغير من مقدها سوى سماعها بأنباء زحف
القوات النورمانية داخل الحدود البيزنطية فم تبرح مواقعها منتظرة ما
ستسفر عنه الأحداث (٤) .

١- لزيد من التفاصيل من ذلك انظر :

Ibid., P.P. 154- 55 : Oxford Dictionary of Byzantium , Vol. 1, New
York , 1991 , P. 94

٢- من أهم المدن التي تمردت على حكم أندرونيقوس : لوباديون Lopadion وبروسا
Prusaea . ولزيد من التفاصيل عن ثورات تلك المدن وثور القلايد براناس في
إخمادها انظر :

Niketas, OP. Cit., P.P. 155- 56

3- Moravcsik, OP. Cit., P. 584

٤- الجدير بالذكر أن العلاقات الجرية البيزنطية على عهد أسرة أنجليوس شهدت تغيراً
كبيراً فتحوّلت من الصداقة والتحالف ، إذ تزوج إسحق أنجليوس من مرجريت
ابنة بيلا الثالث ملك المجر وتلقبت باسم ماريا Maria ولدم بيلا إلى إسحق أنجليوس
الأراضي التي استولى عليها من الدولة البيزنطية على عهد أندرونيقوس كعائلة لابنته
وبذلك تربعت الأميرة ماريا على عرش الدولة البيزنطية وذلك في نهاية ١١٨٥ م وللمزيد
انظر :

Ernoult, OP. Cit ., P.P. 95-96 Cf. also, Moravcsik, OP. Cit., P. 584;

Ostrogorsky OP. Cit., P. 403

إردانت الضغوط الخارجية وطأة على الدولة البيزنطية بعد منبهة عام ١١٨٢م التي راح ضحيتها عشرات الآلاف من اللاتين وقرار أعداد كبيرة منهم وعودتهم إلى بلادهم رويين تجاربهم المأسوية محين فطلب الأخذ ثأرهم من البيزنطيين (١). وكانت جمهوريات إيطاليا متوترة بصفة خاصة لما لحق بتجارتها من أضرار (٢)، فضلاً عن أن بعض نبلاء بيزنطة الذين فروا من وجه أندرونيقوس إلى صقلية حاولوا تأديب حكومتها عليه (٣). وزاد من حرج موقف أندرونيقوس قيام اسحق كومنين بالتمرد على سلطته وانفراده بحكم قبرص عام ١١٨٤م، الأمر الذي أضرب بالدولة البيزنطية قهرمها من قاعدة استراتيجية هامة ومن موارد مالية كثيرة كانت تجنيها من تجارتها (٤). ولكي يجفف أندرونيقوس من وطأة هذه الضغوط اضطر إلى إعادة علاقاته مع الغرب رغم مقتته له إدراكاً منه أن قطع الصلات معه غير مجدى ويضرب بمصالح بيزنطة الحيوية. ف عقد معاهدة مع جمهورية البندقية في أواخر عام ١١٨٤م، وقام بإطلاق سراح ك من تبقى في الأسر من البنادقة الذين كانوا لا يزالون

١- لمزيد من التفاصيل عن ذلك راجع:

William of Type , OP. Cit., P.P. 466-67; Eustathios of Thessalonica, OP. Cit., P. 34

٢- تمتعت الجمهوريات الإيطالية بصفة خاصة بامتيازات تجارية واسعة في الامبراطورية البيزنطية . كما تقلدوا العديد من المناصب المرموقة في الدولة ، فضلاً عن انخراطهم في الجيش بأعداد غفيرة كجنود مرتزقة وتفاضوا نظير ذلك مرتبات عالية حتى أن البيزنطيين كانوا يشعرون أنهم غرباء في بلادهم مما ألغى صمودهم عليهم وتحننوا الفرصة للنسبة للإنتقام منهم، فقاموا باضرار ^{ببلادهم} إنتقام في الحى اللاتينى بالمعاصرة وأحرقوه من بكرة أبيه . ولمزيد من التفاصيل عن ذلك راجع :

William of Type, OP. Cit., P.P. 461-65; Michele le Syrien OP. Cl., P.P. 389-92; Eustathios of Thessalonica, OP. Cit., P.P. 33-35

3-Niketas , OP. Cit., 164; Eustathios of Thessalonica, OP. Cit., P. 58

لنظر أيضاً : ابن جبير الرحلة ص ٢٢٩

فى القسطنطينية منذ عام ١١٨٢م، كما وعد بدفع تعويض سنوى لهم نظير ما لحق بتجارهم من اضرار. وقد بدأ فعلاً فى تنفيذ تلك الوعود وقام بدفع أول قسط فى عام ١١٨٥م (١). وفى نفس العام ولكى يكسب جانب بابا روما قدم مزايا للكنيسة الكاثوليكية بالقسطنطينية - رغم المعارضة الشديدة التى أبداهها بطريق بيزنطة الأرثوذكسى - ومنحها أموالاً كثيرة ولا تزال تعرف حتى يومنا هذا بالكنيسة اللاتينية (٢).

رغم تلك المحاولات الجادة التى قام بها أندرونيقوس لتحسين علاقاته بالغرب ، إلا أنها لم تجد شيئاً أمام الخطر النورمانى الذى كان يمثل بحق تهديداً خطيراً بحق تهديداً خطيراً للقسطنطينية ك لدا لم يجد أندرونيقوس

1-Niketas , OP. Cit., 161; Ernoul, OP. Cit., P. 91 Cf. also , Vasiliev, OP. Cit., P. 436; Ostrogorsky, OP. Cit., P. 399

والجدير بالذكر أن اسحق كومنين ظل يحكم قبرص إلى أن انتزعتها منه ريتشارد قلب الأسد وهو فى طريقه إلى عكا فى الحملة الصليبية الثالثة ١١٩١م ولزيد من التفاصيل عن ذلك انظر:

Geoffery de Vinsauf, History of the Expedition of Richard Ceour Lion to the Holyland , London , 1848 P.P. 187 - 88 ; Mahkairse, Recital Concerning the Sweet Land of Cyprus entitled " Edited with a Translation and Notes by R. M. Dawkins, Vol. 1, Oxford , 1937, P. 12; Ambroise , the Crusade of Richard Lion -heart, Transe., From the old French by M.J.hubert , New York . 1941, P.P. 106-8.

2- Cognasso, Partoto Politici e Lotte dinastiche in Bizanzio alla morte de Manuele Conneno (Reale Accademia Delle Scienze di Torino , 1911-12) Turin, 1912 P.P. 294-95 Cf. Vasiliev, OP. Cit., P. 436

ويشير هايد هنا إلى أنه فى عامى ١١٨٢ ، ١١٨٤م كان بعض البنادقة فى القسطنطينية يمتلكون عقارات خاصة بهم ، عن ذلك انظر : هايد : المرجع السابق ج١ ص ٢٢٤

3- Benedicit le Troburgensis Abbatis , Vita et Gestis Henric II Angliae Regis, ed. R. H. . F. Paris , 1818, Vol. XVII. (P.P. 436-456) Cf. also Vasiliev, OP. Cit., P. 436; Baudrillart, OP. Cit., P. 1176

بدأ من محاولة الإتصال بقوة كبرى لها وزنها وتعادل القوة النورمانية،
فاتصل بسلطان الشرق صلاح الدين الأيوبي عارضا عليه التحالف ضد
النورمان وغيرهم من الأخطار المشتركة التي تواجه كل منهما (١).

ولذلك أرسل أندرونيقوس كومنين سفارة إلى الشرق في سبتمبر
١١٨٥م عارضا على صلاح الدين قيام تحالف بينهما. وعرضت السفارة
شروط القسطنطينية لإبرام معاهدة معه تمثلت في أن يقسم صلاح الدين
يمين الولاء والطاعة للإمبراطور أندرونيقوس بإعتباره الإمبراطور ، وأن يقوم
خو وصلاح الدين بفتح بلاد الشام وأن تقسم فيما بينهم على أن ينال
البيزنطيون بيت المقدس والمدن الساحلية ماعدا عسقلان ، وأنه إذا تم
الاستيلاء على آسيا الصغرى فسوف تعود إلى الدولة البيزنطية حتى أنطاكية
وآرمينيا. وفي مقابل ذلك وعد أندرونيقوس صلاح الدين المساعدة في صراعه
ضد الصليبيين في الشام (٢).

١- من الأخطار المشتركة الأخرى التي كانت تواجه كل من أندرونيقوس وصاح الدين :
الأتراك السلاجقة في قونية الذين تمكنوا بعد معركة ميروكيغالون ١١٧٦م من إحكام
قبضتهم على أيل الصغرى واقتطاع أجزاء أخرى من ممتلكات الدولة البيزنطية ، كما أنهم
بسيطرتهم على آسيا الصغرى شكلوا تهديدا مائلا مانويل ١١٨٠م مما شكل تهديدا
للدولة البيزنطية ، كما أنهم بسيطرتهم على آسيا الصغرى شكلوا تهديدا مائلا لممتلكات
صلاح الدين في شمال بلاد الشام. وهناك أيضا خطر جزيرة قبرص التي انفصلت عن
الدولة البيزنطية وشكل حاكمها اسحق كومنين خطرا كبيرا على أندرونيقوس ، فضلا عن
حرمات القسطنطينية من قاعدة استراتيجية هامة وموارد مالية كثيرة كانت تجنبها من
تجارتها ، وفي نفس الوقت كان قرب قبرص من الإمارات الصليبية بالشرق يعد تهديدا
لصلاح لدين من جهة وقاعدة كبيرة للصليبي الشرق من جهة أخرى . وهناك أيضا خطر
صليبي الشرق وحلفائهم في الغرب الأوربي الذي كان يهدد كلا من الدولة البيزنطية
والمسلمين في الشرق على حد سواء.

2-Franz Dölger, Reg. 1563

ويجدر بنا قبل أن نستعرض تفاصيل رد صلاح الدين على شروط تلك المعاهدة أن نشير إلى أن وثائق دولجر Dölger هي المصدر الوحيد الذي أشار إلى شروط تلك المعاهدة دون غيره من المصادر مما يجعلنا نأخذ جانب الحذر عند تناولنا لها.

وإذا أمعنا النظر في شروط تلك المعاهدة نجد أنها تميل أكثر لصالح أندرونيقوس كومنين وليس إلى صلاح الدين رغم أننا إذا قارنا بين موقفيهما داخليا وخارجيا لوجدنا أن كفة الميزان تميل أكثر لجانب صلاح الدين ، فقد كان الإمبراطور أندرونيقوس كومنين يواجه صعوبات داخلية كثيرة منها تخليص الدولة البيزنطية من الامتيازات التي يتمتع بها اللاتين ، وإضعاف الأرستقراطية القابضة على الوظائف وكبار أصحاب الضياع الذين تسببوا في إنهاء واختفاء طبقة المزارعين مما جعله في خصومة دائمة مع كبار نبلاء الدولة ، فضلا عن تمرد بعض الولايات البيزنطية على حكمه (١) . أماخارجيا فكانت الأخطار محيطة به من كل جانب مثل تهديد المجر والجمهوريات الإيطالية (٢) ، فضلا عن نورمان صقلية وغيرهم (٣) . وفي الجانب الآخر نجد صلاح الدين قد نجح في ضم المدن الإسلامية وجعلها دولة موحدة قوية (٤) . أما بالنسبة للأخطار الخارجية فلم تكن بنفس القدر الذي

I-Niketas, OP. Cit., P.P. 170-4: Eustathius of Thessalonica OP. Cit., P.P. 25-6 Cf. also , Baudrillart, OP. Cit., P. 1175 : Vasiliev, OP. Cit., P. 434

٢- عن تهديد المجر والجمهوريات الإيطالية للدولة البيزنطية انظر ص ١٢ ، ١٤ من هذا البحث
٣- عن التهديد النورمانى للقسطنطينية انظر ص ١٩ ، ٣٦ من هذا البحث

٤- عمد صلاح الدين بعد وفاة نور الدين ممدود ١١٧٤م / ٥٧٠هـ إليهماته الصليبيين في أول الأمر درءا لخطرهم ليتفرغ هو لمواجهة الزنكيين وضم المدن الإسلامية إلى حكمه وتكوين جبهة إسلامية قوية يكون بوسعها التصدي للصليبيين وبالفعل أبرم هذه معهم وبدا على الفور تنفيذ الشطر الثاني من خطته ، فأخذ يضم المدن الإسلامية الواحدة تلو الأخرى فتمكن من ضم حمص وحماة وكذلك بعلبك وشيزر وغيرها من المدن الإسلامية وحاول أن يضم حلب إلا أنها استعصت عليه عدة مرات إلى أن تمكن من فتحها في نهاية الأمر في ١١٨٣م / ٥٧٩هـ وللمزيد من التفاصيل انظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٩ جـ بيروت ١٩٧٨ جـ ٩ ، ص ١٣١ ، ١٠ ، أبو شامة : البروجستين في أخبار الدولتين ، النورية والصلاحية مطبعة وأدى النيل بمصر - القاهرة ١٢٨٧ جـ ١ ص ٢٣٦ ، ٢٢٧ ، ابن شداد : سيرة صلاح الدين الأيوبي المسماة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسيفية ، تحقيق د . جمال الدين الشيال - ط . أولى القاهرة ١٩٦٤م ص ٩٨ ، ابن وأصل : ملحق الكرب في أخبار بني أيوب ج ٢ تحقيق د . جمال الدين الشيال القاهرة ١٩٦٠ ص ١٢٤ ، البزاي سنا البرق الشامي اختصار كتاب البرق الشامي للعماد الكاتب الأصفهاني تحقيق د . فتحية البنزاي القاهرة ٧٩ ص ٨٣ - ٨٤ ، ص ١٠٤ - ١٠٥

كان يواجهه أندرونيقوس كومنين فالصليبيون في الشرق كانوا يمرون
بمرحلة من الضعف والتفكك (١) ولم تمثل قبرص تهديدا خطيرا للدولة
الإسلامية في ذلك الوقت فكيف يتأتى للإمبراطور البيزنطى مع حرج موقفه
أن يعرض مثل هذه الشروط على سلطان الشرق صلاح الدين الأيوبي والذي
كان موقفه أفضل بكثير من موقف أندرونيقوس كومنين . وخير شاهد على
ذلك ما ذكره المؤرخ أبو شامة عن صلاح الدين من قول عن الإمبراطور
البيزنطى (والله ما أفلح ملك للروم قط ولا نفع ولا نفع أن يكون صديقا ولا
ضرا أن يكون عدوا) (٢) .

لما عن رد صلاح الدين على شروط المعاهدة فهو غير معروف إذ لم
تمدنا المصادر المتاحة بمعلومات توضح هذه النقطة ولعله قد عدل في شروط
هذه المعاهدة بما يتفق مع مصلحة دولته . والثابت أن رده وصل إلى الدولة
البيزنطية بعد الإطاحة بحكم أندرونيقوس كومنين وتربع الإمبراطور اسحق
انجيليوس على العرش ١١٨٥ - ١١٩٥ م (٣) . ومن المرجح أن الأخير تلقى

١- مات الملك هنرى الأول في ١١٧٤ م وورثه الملك بلديون الرابع ١١٧٤-١١٨٥ م
الذي جال مرضه بينه وبين إحكام قبضته على الملكة . كما تلجأت الحملات
الشخصية بين الأمراء الصليبيين بعضهم البعض وامتدوا بمصالحهم
الشخصية بين المصالح العام ولزيد من التفاصيل انظر

William of tyre, OP. Cit., Vol. 11, P.P. 492 - 93; Ernol, OP. Cit., P.P.
105- 6, 116 - 18 : L'Estoire d'Eracles, Empereur et la Conquête de la
Terre d'Outremer' ed R.H.C.H. Occ., (T. 11, Paris, 1859, P.P. 1-481) P. 2

٢- أبو شامة : المصدر السابق ج ٢ ص ١٢٨

٣- تولى جرف الدولة البيزنطية في الفترة من ١٢٠٤-١٢٠٥ م لبطريرك من بيت انجيليوس
وتنصب هذه الأسرة إلى قسطنطين انجيليوس Constantine Angelus الذي بعد جد
اسحق الثاني انجيليوس أول لبطريرك هذه الأسرة : اسحق الثاني ١١٨٥-١١٩٥ م ثم من
١٢٠٣-١٢٠٤ م واليكسيوس الثالث ١١٩٥-١٢٠٣ م واليكسيوس الرابع ١٢٠٣-١٢٠٤ م
انظر : حسنين محمد ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية القاهرة ١٩٨٣ ص ٢٣٧
حاشية رقم ١٥٩

Cf. also, Vasiliev., OP. Cit., Vol., 11, P. 438; Ostrogorsky OP. Cit., P. 400

سفارة صلاح الدين بالترحيب حيث كان فى موقف لا يحسد عليه (١) .

وبعد غزو نورمان صقلية لأراضى الدولة البيزنطية من أشد الأخطار الخارجية التى واجهت الإمبراطور أندرونيقوس كومنين خلال فترة حكمه . فقد أشارت بعض المصادر البيزنطية والإسلامية إلى أن عددا من النبلاء البيزنطيين الساخطين على حكم أندرونيقوس قفروا إلى صقلية حيث رحب بهم الملك وليم الثانى William II وطلبوا منهم مهاجمة الدولة البيزنطية وهونوا عليه هذه المهمة . كما أن أحد أدعياء العرش ويدعى اليكسيوس كومنين التجأ هو الآخر إلى وليم الثانى حيث طلب مساعدة صقلية فى محاولته الفوز بعرش القسطنطينية ، كما أن اللاتين الناجين من مذبحه ١١٨٢ م جابوا أنحاء الغرب الأوروبى بما فيه صقلية حيث حرضوا ملوكها للأخذ بثأرهم من البيزنطيين (٢) . وقد استجاب وليم الثانى لهذه المطالب . وأعد حملة كبيرة لمهاجمة الدولة البيزنطية وللوهلة الأولى تبدو هذه الأسباب السابقة الذكر مقبولة إلى حد ما لقيام وليم الثانى بحملته ضد الدولة البيزنطية . ولكننا إذا أمعنا النظر فى تلك الأسباب السابقة نجد أنها لا يمكن أن تكون أسبابا قوية لقيام مثل هذه الحملة الكبيرة التى أعدها وليم الثانى ضد القسطنطينية ، فلجوء بعض النبلاء الهاربين من بطش أندرونيقوس كومنين لا يمكن أن يكون بأى حال من الأحوال سببا مقنعا لقيام مثل هذه الحملة ، كما أن لجوء اليكسيوس كومنين إلى صقلية ومناشدته الملك وليم الثانى للفوز بالعرش لا يمكن أن يكون هو الآخر السبب الجوهرى لقيام هذه الحملة خاصة وأن اليكسيوس كومنين هذا لم يكن من أفراد الفرع الحاكم من

١- لمزيد من التفاصيل من السفارات المتبادلة بين صلاح الدين وأسحق إنجيلوس والمعاهدة التى أبرمت بينهما انظر:

أبو شامة : المصدر السابق . ج٢ ، ص ١٠٢ ، ابن سداد: المصدر السابق ص ٢٠٥ - ٢٠٨
2- Niketas, OP. cit., P. 164; Eustathius of Thessalonica, OP. Cit., P. 85

ابن جبير : الرحلة ، ص ٢٢٩ ، انظر أيضاً : هايد: المرجع السابق ص ٢٢٤

بيت كومنين ليدعى وليم الثانى أنه إنما قصد بمهاجمته القسطنطينية استعادة عرش بيزنطة من مقتصبه . هذا وإن كان هناك من المصادر من أشار إلى أن اليكسيوس هنا هو اليكسيوس الثانى ابن مانويل وهذا رأى بجانبه الصواب (١) . وربما يذكر البعض أن وليم الثانى قام بحملته ضد بيزنطة ردا على المذبحة التى قام بها البيزنطيون ضد اللاتين بالقسطنطينية عام ١١٨٢م والحقيقة أن هذا افتراض يعوزه الدليل ، إذ أن مذبحة عام ١١٨٢م كانت موجهة بصفة خاصة ضد الإيطاليين الذين كانوا يشكلون الجانب الأكبر من الجاليات التجارية فى الدولة البيزنطية ولم تشر المصادر إلى أن نورمان صقلية كان لهم تواجد ملحوظ بالقسطنطينية أو امتيازات تجارية بها (٢) . ورغم ذلك فأننا لا يمكن أن نغفل أهمية هذه الأسباب السابقة ويمكن اعتبارها أسبابا مباشرة ولكنها ليست بحال من الأحوال هى الأسباب الحقيقية ، وإن كان الأمر كذلك فما هى تلك الأسباب التى حركت وليم الثانى للقيام بحملته ضد القسطنطينية .

ونستطيع القول أن العلاقات البيزنطية النورمانية فى أغلبها كانت علاقات عدائية يشوبها الحقد والكراهية ولم تكن تلك العلاقات العدائية وليدة تلك الفترة - أى فترة حكم أندرونيقوس كومنين وإنما كان العداء هو السمة المميزة للعلاقات البيزنطية النورمانية طوال عهدها السابقة فلم تكن محاولة وليم الثانى فى عام ١١٨٥م لغزو القسطنطينية هى الأولى من نوعها بل سبقتها محاولات أخرى على مدار قرن مضى من الزمان ففى عام ١٠٨١م قام روبرت جويسكارد ١٠٥٩-١٠٨٥م بغزو الأراضى البيزنطية محاولا الإستيلاء

١- ابن جبير للمصدر السابق ، ص ٢٣٥

٢- قدم الدكتور عادل سليمان زيتون عرضاً عن الجاليات التجارية الأجنبية فى القسطنطينية وناقش النقطة السابقة ،

وللمزيد أنظر: العلاقات بين القوى الإيطالية وبيزنطية فى القرن الثانى عشر الميلادي ص ٢٧٥ ، هليد : للرجع السابق ج ١ ص ٢٣٤

على القسطنطينية وكاد أن يفلح في ذلك لولا المساعدة التي قدمها سلاجقة الروم في الوقت المناسب (١) . وفي عام ١١٠٧ م أعاد بوهمند الأول ابن روبرت جويسكارد الكرة وغزا الأراضي البيزنطية ولكنه منى بهزيمة نكراء واضطر إلى عقد معاهدة يقول (٢) سنة ١١٠٨ م . ولم يقتصر الأمر على غزو النورمان لحدود الدولة البيزنطية فحسب ، بل قاموا بغزو الممتلكات البيزنطية في إقليم قيليقية بآسيا الصغرى عدة مرات وتمكنوا من الإستيلاء على بعضها لفترة من الزمان (٣) .

مما سبق اثنا أن روح العباد التي كان يكنها نورمان صقلية للدولة البيزنطية هي السبب الحقيقي الذي دفع وليد الثاني للقيام بحملته ضدها عام ١١٨٥ م ، وأن تحريض اللاتين الذين نجوا من مطبحة عام ١١٨٢ م

I- Raouel de Caen, Gasta Tancredi Siciliac Regis in Expedition Hierosolymitana, in R.H.C.H.Occ., Vol III, P.705

انظر أيضاً : سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ص ١٢٧-١٢٨

٢- من المعروف أن بوهمند الأول أمير أنطاكية قد سافر إلى إيطاليا حيث قابل البابا باسكال الثاني ١٠٩٩-١١١٨ م وحصل منه على تأييد للقوات بحملة ضد بيزنطة كما نال مساعدة فيليب الأول ملك فرنسا ١٠٦٠-١١٠٨ م الذي زوجه من ابنته كونستانس وأرسل شقيقته سيبيليا إلى أنطاكية لتتزوج من تنكريد ابن أخته في ١١٠٦ م ثم خرج بوهمند في ١١٠٧ م بحملته ضد بيزنطة التي انتهت بهزيمة وخضوعه للإمبراطور أليكسيوس بناء على إتفاقية يقول Devoil التي وقعها معه علي أن يحكم أنطاكية كتابع لأليكسيوس ولخلفائه من بعده ولزيد من التفاصيل عن ذلك انظر :

Anne Comnen, the Alexiad, English Trans. by Elezabeth Dawes, London, 1928, P.P. 302-6, 316, 348-59; Albert d, Aix, Histoir Histoir Hierosolymitana in R.H.C.H.Occ., Vol. IV., P. 260; Raouel de Caen, OP. Cit., P.P. 712-14

انظر أيضاً : حسين محمد عطية : إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ١٩٨٩ م ، ص ١٢٢ حاشية ١٤١

١- لزيد من التفاصيل عن ذلك انظر :

Albert d, Aix, OP.Cit., P. 582; Raouel d, Caen, OP. Cit., P. 706

بالقسطنطينية ولجئ أحد أدعياء العرش البيزنطى وعدد من النبلاء البيزنطيين إلى صقلية وحثهم وإيم الثانى على غزو القسطنطينية ما هى الا الاسباب الظاهرية التى أعطت له الضوء الاخضر لغزو اراضى الدولة البيزنطية ومهما يكن من أمر فقد أخذ وإيم الثانى ملك صقلية يراقب عن كثب ما يجرى بالقسطنطينية من أحداث للتعرف على أخبارها بشتى الطرق ومن بينها استجواب الرحالة والتجار القادمين إلى صقلية (١) ، وكذلك عن طريق اللاتين الذين كانوا يعملون كجنود مرتزقة بالقسطنطينية ثم سرحوا والتجأ بعضهم إلى الملك وإيم الثانى الذى استمالهم إليه وأغرامهم بالمرتبات المرتفعة والوعود الكبيرة ونجح فى تجنيد آلاف من الفرسان فى صفوف جيشه (٢) . كما إتخذ وإيم الثانى تدابير كثيرة للحيلولة دون وصول أنباء الإستعدادات العسكرية إلى القسطنطينية ومن هذه التدابير اصداره مرسوما يقضى بإغلاق الموانئ الصقلية وعدم مغادرة أى سفينة لها لحين الإنتهاء من تجهيز الأسطول . وقد بلغت سرية هذه الإستعدادات أن مواطنى الجزيرة لم يعرفوا على وجه التحديد وجهة هذا الأسطول وإن حامت ظنونهم نحو القسطنطينية (٣) . ويستشف مما سبق مدى جدية وإيم الثانى ملك صقلية فى مشروعه لغزو الدولة البيزنطية وإصراره على نجاح حملته العسكرية ما استطاع إلى ذلك سبيلا .

١-مثال ذلك ما حدث مع ابن جبير ومراقبيه الذى ذكر أنه مثل بين دي ملك صقلية هو ورقائه : فسألنا عن مقصدنا وعن بلادنا بكلام عربي فاطمناهم فظهر الأشفاق علينا وأمر بأنصرافنا بعد أن لحقني في السلام والدماء فعجبنا من شأنه وكان أول سؤل له لنا عن خبر لقسطنطينية العظمى وما متدنا منه فلم يكن متدنا ما نعلمه به للرحلة ، ص ٢٢٩

2-Niketas, OP.Cit., P. 164

انظر أيضاً : ابن جبير : المصدر السابق ص ٢٢٥

٢- ابن جبير : المصدر السابق ص ٢٢٤

على أى حال أخذت الإستعدادات فى صقلية تجرى على قدم وساق للتجهيز لتلك الحملة وذلك لواخر ١١٨٤ م وأوائل ١١٨٥ م وتمخضت عن أسطول ضخم قوامه ثلاثمائة سفينة حربية ومائة سفينة لنقل الجند والطعام والذخيرة على حد قول الرحالة ابن جبير (١) ، بينما بلغ عدد القوات البرية نحو ثمانين ألف من المشاة وخمسة آلاف من الفرسان على حد قول أيوستاث أسقف سالونيك (٢) .

وفى الثالث عشر من يونيو ١١٨٥ م بدأت الحملة النورمانية عملياتها العسكرية ضد الدولة البيزنطية وأستهلتها بمدينة درازو التى وصلتها فى الرابع والعشرين من نفس الشهر وتمكنت من الإستيلاء عليها فى نفس اليوم الذى وصلت فيه (٣) ، أما الأسطول فلم يهاجم مدينة درازو بل اتجه مباشرة من ميناء مسينا إلى مدينة سالونيك البيزنطية (٤) .

وقبل الخوض فى ذكر تفاصيل لعمليات العسكرية التالية هناك تساؤل ينبغى التوقف أمامه وهو لماذا استسلمت مدينة درازو للنورمان بهذه السهولة ؟ هل لضعف تحصيناتها ؟ أم لقلة الحامية البيزنطية ؟ الموجودة بها ؟ أم لافتقارها للقيادة الحكيمة التى تدير دفة الأمور ؟ أم لهول المفاجأة التى باغت بها النورمان المدينة ؟ الحقيقة أن وليم الثانى ملك صقلية اتخذ تدابير

١- ابن جبير نفس المصدر والصفحة

2- Eustathius of Thessalonica, OP.Cit., P. 59

3-Niketas, OP.Cit., P. 164

4- Idem.,

تعتبر مدينة سالونيك للمدينة الثانية بعد القسطنطينية من حيث الأهمية وقد أشاد أسقف سالونيك بحصانيتها وعظم استحکمتها . وذكرها الإدريس بأنها (مدينة حصنة جليلة كثيرة العمارة برا وبحرا) انظر :

Eustathius of Thessalonica, OP.Cit., P. 59

الإدريس : نزعة المشتاق فى اختراق الأماق ٢ م ، مكتبة الثقافة الدينية بدون تاريخ ج ٢ ص ٨٠٠

كثيرة للحيلولة دون وصول أخبار حملته إلى القسطنطينية، ورغم صرامة تلك التدابير إلا أن الباحث يستشف من رواية ابن جبيران هناك سفناً تمكنت من مغادرة موانئ صقلية رغم الخطر المفروض عليها وذلك عن طريق رشوة المسؤولين في تلك الموانئ (١). ومن المحتمل أن تكون أنباء تلك الإستعدادات قد تسربت إلى بيزنطة بشكل أو بآخر، ولكن نظراً لإهتمام أندرونيقوس بتصفية حساباته مع معارضيه من جهة وانغماسه في شهواته مع النساء (٢) من جهة أخرى فلم يكن لديه من الوقت ما يقضيه في إدارة شئون دولته الخارجية في فترة تعد من أصعب الفترات التي مرت بها الإمبراطورية البيزنطية في القرن الثاني عشر الميلادي - ورغم ذلك فمن المؤكد أن أنباء تلك الحملة العسكرية قد وصلت إلى أندرونيقوس كومتين بعد عبورها الأديراتي ، فما كان منه إلا أن أرسل قائده براناس John Branas المشهود له بالكفاءة والحنكة العسكرية ليتولى مسئولية الدفاع عن مدينة دورانو ضد الهجوم النورمانى المرتقب ويقبل وصل القائد البيزنطى قبيل وصول الحملة النورمانية بأيام وجيزة ، الأمر الذى لم يمكنه من الإشراف الكامل على تحصينات المدينة واستحكاماتها العسكرية من جهة ، وتنظيم الحامية البيزنطية الموجودة في المدينة من جهة أخرى. وأحدث وصول القوات النورمانية إلى دورانو في الرابع والعشرين من يونيو ارتباكاً كبيراً في صفوف الحامية أدى إلى شل حركتها في الدفاع عن المدينة وسرعان ما سقطت في أيدي النورمان وتم أسر قائده وإرساله إلى صقلية (٣).

١- ابن جبيران : الرحلة ص ٢٢٤

٢- أسهب نيقيتاس في ذكر تفاصيل علاقات أندرونيقوس العاطفية بعد تربيته على العرش وكيف أنه كان يفضل الذهاب إلى الريف مصطحباً معه محظياته الجميلات ، وكان على رأسهم عازفة الفلوت الحسناء مارابتيك Maraptike ولمزيد من التفاصيل عن ذلك انظر:

Niketas, OP.Cit., P. P.177-78

3- Eustathius of Thessalonica, OP.Cit., P. 59; Niketas, OP.Cit., P. 175

بينما ذكر ابن العبري أنهم استولوا على عدة مدن دون تحديد لأسمائها انظر:

Bar Hebraeus, OP.Cit., P. 313

عمل النورمان على استثمار ذلك النصر السريع الذى حققوه فى مدينة دورازو فى متابعة زحفهم وضم المدن البيزنطية الواحدة تلو الأخرى، فبعد أن تركوا حامية عسكرية فى دورازو واصلوا زحفهم متجهين صوب مدينة سالونيك التى تعد ثانى المدن البيزنطية شهرة بعد مدينة القسطنطينية (١) . وقبل أن تصل القوات النورمانية إلى مدينة سالونيك كانت قد سبقتهم إليها أنبياء المذابح الرهيبة التى ألت بسكان دورازو مما أشاع جواً من الرعب والهلع بين سكان المدينة وغيرها من المدن المجاورة . ورغم أن أندرونيقوس كان مشغولاً بسفك الدماء وعشق النساء - كما سبقت الإشارة - إلا أنه أرسل امدادات بحرية لا بأس بها إلى سالونيك ، فضلاً عن خمس فرق عسكرية (٢) كيما تقوى المدينة على الصمود أما الحصار النورمانى المرتقب مما يعكس لنا إهتمامه بالمدينة وإبرازه لأهمية موقعها وضرورة الحفاظ عليها (٣) .

ومهما يكن من أمر فقد وصلت القوات النورمانية البرية إلى سالونيك فى السادس من أغسطس ١١٨٥م، بينما وصل الأسطول النورمانى بعد ذلك بتسعة أيام ، وبذلك تم حصار المدينة براً وبحراً وأخذ النورمان يضيقون الحصار على المدينة ويمطرونها بوابل من قذائفهم التى استمرت ليل نهار دون هوادة كان الهجوم البحرى أشد وطأة وضراوة من الهجوم البرى (٤) .

ويقدم لنا أيوستات أسقف سالونيك والذى كان متواجداً آنذاك فى المدينة وشاهد عيان لكل أحداثها صورة حية لما وقع من أحداث منذ بداية

1- Niketas, OP.Cit., Loc Cit.,

٢- والجدير بالذكر أن الفرق لم تصل إلى سالونيك ، بل اكتفت بالتعسكر بالقرب من المدينة دون أن تجرؤ على الإقترب منها خوفاً من القوات النورمانية والمزيد من التفاصيل أنظر :

Idem.,

3- Eustathius of Thessalonica, OP.Cit., P. 62

4- Idem.,

الحصار النورمانى لها وحتى سقوطها فى أيديهم فى الرابع والعشرين من أغسطس ١١٨٥ م. وقد أشار إلى أن قائد الحامية الموجهة فى المدينة الذى عهد إليه عنها هو داود كومنين David Comnen الذى يصفه بأنه رجل لا خبرة له (١)، وفاقه المؤرخ المعاصر نيكيتاس فى نعته له (٢). وكان هذا القائد يخشى بطش أندرونيقوس كومنين لكثير من خشيته لخطر النورمان ، فنراه يرسل بتقارير زائفة إلى أندرونيقوس كومنين يطمئنه فيها على أحوال المدينة وقوة تحصيناتها واستبساله فى الدفاع عنها فى الوقت الذى كانت فيه المدينة تتعرض لأشد فترات الحصار. وعندما كان يرسل أندرونيقوس الرسائل يسأله عما إذا كان فى حاجة للمساعدة فيجيبه بأنه ليس فى حاجة إليها وأنه حقق انتصارات كبيرة على الأعداء. وكانت تلك التقارير المتبالة لا يطلع عليها أحد من سكان سالونيك ولا يحط بها علماء ، ومن تصانف وعلم شيئاً عنها، فإنه لا يستطيع البوح بما علم (٣)، وبدلاً من أن يحرض قرائه على الإستبسال والصمود فى وجه النورمان نراه يتبسط من همهم ويثنيهم ويحقر من جدوى مواصلتهم الدفاع عن المدينة (٤).

على أى حال واصلت القوات النورمانية البرية والبحرية هجومها على المدينة وشددت من وطأتها فأخذت استحكامات المدينة تضعف وأسوارها تنهار أمام قسوة القصف النورمانى لها (٥). ولما أدركت الحامية أنه لا طائل من

1- Idem.

٢- وقد وصف المؤرخ نيكيتاس القائد داود كومنين بأنه كان أكثر انوثة من النساء وأجبن من الفزال وإن قدر سالونيك الشمس أن يكون هذا الرجل هو الذى كلف بالدفاع عنها (فكان ما كلفوا قرصانا للقيام بعمل قبطان لو مشعوه للقيام بعمل طبيب) - انظر :

Niketas, OP.Cit., P.P. 164- 65

3- Eustathius of Thessalonica, OP.Cit., P. 62: Do'Iger, Reg. 1562

4- Eustathius of Thessalonica, OP.Cit., Loc. Cit.,

5- Ibid., P. 67

مواصلة الدفاع عن المدينة بعد أن نفذت الأقوات والذخائر أعلن قائدها- دواود كومنين - الإستسلام للقوات النورمانية وذلك قى ٢٤ أغسطس ١١٨٥م (١).

يصف لنا إيوستاث أسقف سالونيك حال المدينة بعدما دخلها النورمان فيذكر أن السيف قد بذل في أهلها دونما بين رجل وامرأة وكبير وصغير وأن النورمان اغتصبوا النساء وجاثوا خلال الديار ينقبون عن الثروات التي خباها أهلها، كما أنتهكوا حرمت أماكن العبادة فدنسوها بأقدامهم ونهبوا ذخائرها وأحرقوا الكتب المقدسة وألقوا بالتمائيل والأيقونات على الأرض ووطأوها بأقدامهم وتعقبوا رجال الدين وأناقوهم أشد ألوان العذاب . ولم يستطع القائد النورمانى أن يستعيد زمام الأمور بالمدينة إلا بشق الأنفس بعد ما غصت طرقات المدينة بجثث القتلى والجرحى ومن نجى من القتل وقع فى الأسر وتعنى من بقى على قيد الحياة الموت من جراء مالا قوة على أيدي النورمان من تعذيب وتنكيل (٢).

وقد أرجع إيوستاث أسقف سالونيك ما وقع للمدينة من أهوال إلى غضب الرب نتيجة للأثام التي إقتربا أهلها وأن هذا هو الجزاء العادل لهم لقاء ما قدمت أيديهم (٣)، بينما أوعز المؤرخ نيقيتاس مسبب سقوط سالونيك فى أيدي النورمان إلى خيانة القائد دواود كومنين الى وجه إليه أقذع العبارات (٤). وإن كنا نتفق مع ما ذكره نيقيتاس من تقاعس القائد دواود كومنين وخيائته

١- ينلرد المؤرخ إيوستاث بذكر تفاصيل كثيرة عن حصار النورمان للمدينة عن ذلك أنظر: Eustathius of Thessalonica, OP.Cit., P. P. 67- 138

وقد أخطأ نيقيتاس فى تاريخ سقوط المدينة فنكر أنهفى ٢٥ أغسطس أنظر : Niketas, OP.Cit.,P.165

2- Eustathius of Thessalonica, OP.Cit., P. P. 138- 40

والجدير بالذكر أن للمؤرخ نيقيتاس نقل هذه المشاهد عن أسقف سالونيك أنظر :

3- Niketas, OP.Cit., P.P. 165- 70

4- Eustathius of Thessalonica, OP.Cit., P. 140

فإننا لا يمكن أن نقنع بأن يكون هذا هو السبب الوحيد لسقوط المدينة فلا بد أن نقر بأن الحامية قد بذلت كل ما بوسعها ولكن أعدادها كانت لا تقارن بما أعده النورمان من قوات، كما أن أسوار المدينة وتحصيناتها لم تكن من القوة ما يكفل لها الصمود أمام ضراوة الهجوم النورمانى ، فضلاً عن أن الإمدادات والأقوات أخذت تنفذ تدريجياً من المدينة ، ومما زاد الطين بلة أن الفرق الخمس التى أرسلها أندرونيقوس لنجدة المدينة لم تجهد نفسها فى الوصول إليها حيث اكتفى يوحنا ابن الإمبراطور أندرونيقوس الذى كان على رأس أحد هذه الفرق بالإنشغال بأعمال القنص ، بينما اكتفت الفرق الباقية بالتعسكر بعيداً عن المدينة ومراقبة ما يجرى من أحداث دون أن تجرؤ على الإقترب وتقديم المساعدة الفعلية للمحاصرين(١) . كما أننا لا نستطيع إغفال أهمية تلك المساعدات التى قدمها بعض الاتين - الذين كانوا يقيمون فى مجاورات سالونيك- للنورمان وإطلاعهم على عورات المدينة، مما يسر لهم اقتحامها(٢) ، مما أدى إلى أن يدب الوهن فى قلوب المدافعين فلم يجدوا بداً من الإستسلام خاصة وأن قائدهم كان يفضل ذلك على متابعة القتال .

ومهما يكن من أمر فقد أرجع المؤرخ نيكيتاس أسباب ما حدث بسالونيك إلى كراهية النورمان للبيزنطيين وحقدهم عليهم لما حباهم الله من نعم كثيرة ورغد فى العيش (٣) وهذا يؤكد صدق ما ذهبنا إليه سابقاً من أن الحملة النورمانية لم يحركها شهوة الثار لما لحق باللاتين عام ١١٨٢م وإنما حركتها عوامل الكره والحقد التى كان يكنها النورمان للبيزنطيين .

وحينما وصلت إلى القسطنطينية أنباء سقوط سالونيك كان وقعها على الإمبراطور أندرونيقوس وقع الصاعقة فأسقط فى يده واضطرب تفكيره

1- Ibid ., P. 175

٢- هايد: المرجع السابق ص ٢٢٤

3- Niketas, OP.Cit.,P.167

وإدرك أن الدائرة ستدور لا محالة عليه وأن الخطوة التالية بعد سقوط سالونيك هي القسطنطينية نفسها، فيقام بإعادة تحصين العاصمة وإزالة المنازل الملاصقة لأسوارها من الخارج حتى لا توفر للنورمان وسيلة سهلة لدخول المدينة، كما قام بتجهيز ما يقرب من ١٠٠ سفينة لتكون على استعداد لمقاومة الأسطول النورمانى إذا ما هاجم القسطنطينية (١)، وظن أنه بذلك قدم كل ما فى وسعة لإنقاذ العاصمة من النورمان وأطلق لشهواته العنان، فكان دائماً يذهب للتنزه خارج المدينة ومعه مجموعة من الغانيات والحظيات . واليوم الذى كان يعود فيه للمدينة يعد يوماً مشئماً لسكانها على حد قول المؤرخ نيقيتاس (٢). فقد كان يبدو أنه لا يعود إلا لاستئناف أعمال القتل الوحشية ضد من يتصور أنه يتزمر عليه فأخذ الناس يتزامرون من صنيعه وبدأوا يستجيبون للتحريض على الثورة نتيجة لاقترب النورمان من القسطنطينية فى الوقت الذى لم يقم فيه هو بعمل شئ كافى للتصدى لهم، بل أمر بإعدام كل من بالسجون وكل من يمت لهم بصلة بحجة أنهم تأمروا عليه وسعوا إلى تدميرهم وتحالفوا مع الأعداء (٣).

على أى حال بعدما تمكنت القوات النورمانية من الاستيلاء على سالونيك وتركت بها من يدافع عنها وأصلت زحفها نحو القسطنطينية فى لوائل سبتمبر ١١٨٥ م (٤). وبينما كانت أنباء انتصاراتهم تترى على القسطنطينية كان لإمبراطور أندرونيقوس لايزال مشغولاً بتصفية معارضيه دون أن يعبا بخطورة الأمر، ففى الوقت الذى أمر فيه بالقبض على أحد صغار النبلاء ويدعى اسحق انجيلوس تمكن الأخير من قتل رسول الإمبراطور الذى كان مكلفاً بتك المهمة وأشهر سيفه الذى كان يقطر دماً وسار فى طرقات

1- Ibid ., P. 176

2- Ibid ., P. P. 177- 78

3- Ibid ., P. P.184- 86 Cf . also , Baudrillart , Op. Cit., P. 1176

4- Niketas,OP.Cit., P.P.175-176 Cf.also Ostrog'orsky , OP.Cit., P.400

للمدينة تتعالى صيحاته يطلب الفوث والحماية من الشعب حتى انتهى به المطاف إلى كنيسة سانت هيبوليا (١)، وهناك احتشدت الجموع الغليظة التي أتت من كل حذب وصوب لقبرى ذلك الرجل الذى تجرأ على قتل رسول الإمبراطور الطاغية الذى أزهق أرواح الكثيرين وبعد مشاورات طويلة أجبروا بطريق المدينة على تنويجه إمبراطوراً عليهم وإقصاء أندرونيقوس عن العرش وذلك فى ١٢ سبتمبر ١١٨٥م (٢).

حدث كل ذلك أثناء غياب أندرونيقوس عن العاصمة، وعندما عاد وعلم بتلك الأخبار حاول قتل اسحق أنجيلوس خلعة ولكنه فشل فى ذلك. فما كان أمامه إلا محاولة الهرب، فرأى إلى إحدى السفن التي كانت راسية فى الميناء وهرفته زوجته أنجس ابنة ملك فرنسا وبعض محبتيه (٣). ولكن لسوء

١- ويرى المؤرخ نيكيتاس أن الإمبراطور أندرونيقوس لربما لم يعرف شيئاً مما يخبئه به القديرون سيخلفه على العرش فأرسل إلى أحد العرفانين فى لواتل سبتمبر ١١٨٥ ليتنبأ له الغيب فذكر العراف لوصاف الرجل الذى سيقتضيه من العرش وأن بداية اسمه هى كلمة اسحق، وحدث أن ذلك سيحدث فى ١٤ سبتمبر من نفس العام فظن أندرونيقوس أنه اسحق كوميدين الذى انفرد بحكم البرص فلم يعر الأمر إهتماماً نظراً لبعده للمسافة بين قبرص والقسطنطينية، إذ لم يكن يوسع الأخير أن يقطع تلك المسافة الطويلة فى تلك الليلة للوجيزة ليقوم بهذا العمل، ولما كانت لوصاف التى ذكرها العراف لأندرونيقوس تنطبق على اسحق أنجيلوس، لذا فقد أمر أندرونيقوس بالقبض على اسحق والزج به فى سجن السجن الجليل من ذلك انظر:

Niketas, OP. Cit., P.P. 187- 88
2- Ibid, 188- 90 : Ernoul, OP. Cit., P.P. 91- 93 : Bar hebraeus, OP. Cit., P. 319

3- Niketas, OP. Cit., P.P. 191- 92: Niketas, OP. Cit., P.P. Bar hebraeus, OP. Cit., P. 319

والجدير بالذكر أن ليها ريمون مؤرخ الحملة الصليبية الرابعة ذكر أن الاثنين عندما سفلوا القسطنطينية وجنوا بقلعتها حيناً من الأمور وكانت من بيتون الإمبراطورة أنجس زوجة أندرونيقوس التى تزوجت من بعده الأمير ثيودور برانس Theodore Branas من ذلك انظر:

Villehardouin and de Joinville, Memoirs of the Crusades, translated and introduced by Sir Frank Maizials, London, 1965, P. 64

قدره بدلاً من أن تتجه السفينة بعيداً عن أيدي من أرادوا الفتك به اضطرتها العاصفة إلى العودة مرة أخرى إلى ميناء القسطنطينية حيث قبض عليه ومثل بين يدي الإمبراطور اسحق انجيلوس الذي وبخه على ما اقترفته يده في حق الشعب ثم ترك أمره للجماهير الغاضبة التي اجتمع أمرها بعد جدل طويل على وضعه على ظهر جمل أجرب بطريقة عكسية - وجهه للخلف وظهره للأمام - وجابوا به طرقات المدينة ليقتصم منه كل من الحق به أذى . وقد قدم المؤرخ نيقيتاس وصفاً تقشعر منه الأبدان للمصير البشع الذي لاقاه أندرونيقوس حتى لفظ أنفاسه الأخيرة (١) .

وبخلاصة القول أن أندرونيقوس كان يسعى للحصول على السلطة بشتى الطرق ونجح في ذلك، ولكنه لم يسع للحفاظ عليها، إذ كان بمقدوره أن يصبح بمثابة الدم الجديد الذي يثبت الروح في جسد الإمبراطورية الواهن ، خاصة وهو يمتلك كل خصائص السياسي الناجح. كما كان هوسه أيضاً أن يمد في عمر هذا البيت الحاكم - الذي تربع أباطرته على عرش البلاد ما يزيد على قرن من الزمان ونجحوا في مواجهة أعنى الأخطار وقاوا البلاد إلى بر الأمان - إلا أنه أثر الأدنى على الأبقى وأخلد إلى الأرض ولم يستطيع أن يكبح جماح شهوته المتعشقة لسفك الدماء وحب الانتقام ، فلم يقض عى نفسه فحسب ، بل على البيت بأسره . ولعلنا يجانبنا الصواب إذ قلنا أيضاً أنه كان سبباً هاماً في سقوط الإمبراطورية نفسها سنة ١٢٠٤ م عندما غزاها اللاتين .

وهكذا يطوى التاريخ صفحة أحد لأباطرة البيزنطيين الذين تربعوا على عرش البلاد خلال الفترة من ١٨٢-١٨٨٥ م، ورغم قصر هذه الفترة الواضح، إلا أنها كانت مليئة بالأحداث الهامة التي أثرت تأثيراً كبيراً على مجريات تاريخ الإمبراطورية البيزنطية. وبموت الإمبراطور أندرونيقوس كومتين وضعت البلاد على أعتاب مرحلة من تاريخها سارت بها بسرعة رهيبة نحو الهلولة .

1- Niketas , OP. Cit., P.P. 192- 93: Ernoul, OP. Cit., P.P . 94 - 95:Bar hebraeus, OP. Cit., P. 319

بيان بالمختصرات الواردة بالبحث

- C.G.U.M.M.Z/ : Corpus der riecichen Urkunden des Mit-
telalters Und der Meueren Zeit.
- C.M.M.: TheCambridge Medieval History.
- P.G.: Patrologiae Graecae.
- R.H.C. - Doc.Arm. : Recueil des Historiens des Croisades
Documents Armeniens .
- R.H.C.-H.Occ.: Recueil des Historiens des Croisades His-
toriens Occidentaux.
- R.H. G. F. : Recueil des Historiens des Gaules et de la
France

أولاً: المصادر الأجنبية

- Albert d'Aix , Historia Hierosolymitana in R. H. C., H. Occ., Vol. IV.
- Ambroise , The Crusade of Richard Lion-Hert, Trans . from the Old French by M.J. Hubert, New York, 1941.
- Ann Comnen , The Alexiad , English :trans. by Elezabeth Dawes, London, 1928.
- Bar Hebraeus, The Chronography of Greory Abu'l Faraj Tanslated from te Syriac by Ernest A. Walls Budge, Vol. I, London , 1932.
- Benedicti le Troburgensis Abbatis Vitaet Gestis Henrici 11 Angliae Regis , ed R. H, G. F. ; Paris , 1818 Vol. XVII, P.P. 436-546.
- F. Dölger, Regesten der Kaiserukunden des Ostromischen Reichs Von 565-1453 in G.G.U.M.M.Z., Berlin, 1924-1960.
- Eracles, Estoire d'Eracles , Empereus et al Conqueste dela Terre d'Outremer ed. R.H,C.H.Occ., T. 11, Paris, P.P. 1-481.
- Ernoul, Chronique d'Ernoul et de Bernard le Tresorier, ed. L. de Mas Latrie , Paris, 1871.

- Eustathius of Thessalonica *Marratio de Thessalonica rre a latinis Capta* Ed. Bekker , I in P.G. , T. 136.
- Geoffery de Vinsauf, *History of the Expedition of Richard Ceour Lion to the Holyland* , London , 1848 .
- Gregoire le Pretre, *hronique de Gregoire le Pretre* , Cf. R. H. C. Doc. Arm., T. 1, P.P. 151 - 201.
- Guiragos de Kantzag, *Histoire d'Armenie extrait* ,Cf. R. H. C. Doc. Arm. T. 1, P.P. 413-430
- Kinnamos , *Deeds of John and Manuel Comnenus*, Trans. by Charles M. Brad, New York , 1976.
- Mahkairase, *Recittal Concerning the Sweet Land of Cyprus* entitled "Chronicle" Edited with a Translation and Notes by R.M. DAwkins, Vol. 1, Oxford , 1937.
- Michel le Syrien , *La Chronique de Michel Syrien* , Cf. R. H. C. Doc. Arm,m T.1, P.P. 309- 409.
- Moketas Choniates *Ocity of Byzantium*, Trans. by Harry J. Magoulias , Delrsit , 1984.
- Raouel de Caen, *Gesta Tancredi Siciliae Regis in Expedition Hierosolymitana*,in R.H.C.Occ., Vol. III.
- Robert Clari,*Lacoquete deconstantinople*.

وقد رجعت إلى الترجمة العربية لهذا الكتاب وهي تحت عنوان فتح
القسطنطينية على يد الصليبيين، ترجمها من الفرنسية القديمة وقدم لها
د. حسن حبشي، القاهرة ١٩٦٤م.

- Sempad, le Conetable, Chronique du Royaume de la
Armenie extrait, Cf. R.H.C. Doc. Arm. , P.P. 610-619.
- Vahram d'Edesse, Chronique Rinee des Rois de LaPetite
Armenie , Cf. R.H.C. Doc. Arm., P.P. 493-535.
- Vartan le Grand, Abrege d'Histoire Universelle, Cf. R. H.
C. Doc. Arm., I, P.P. 431-443.
- Villehardouin and de Joinville, Memoirs of the Crusades,
Translated introduced by Sir Frank Marzials, London,
1965.
- William of Tyre, A History of Deeds Done Beyond the
Sea, Trans. by Babcock and Krey, 2 Vols, New York,
1943.

ثانياً : المصادر العربية

- ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ٩ ج ، بيروت ١٩٧٨ م.
- ابنجبير : الرحلة ببيروت بدون تاريخ
- ابن شداد : سيرة صلاح الدين الأيوبي المسماة بالنوانر السلطانية ، والمحاسن اليوسيفية ، تحقيق د. جمال الدين الشيال ، ط ١ ، لولى القاهرة ١٩٦٤ م.
- ابن واصل : مفرج الكروپ فى أخبار بنى ليوب ج ٢ تحقيق د. جمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٦٠ م.
- أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، مطبعة وادى النيل بمصر ، لقاهرة ١٢٨٧ هـ.
- الإدريس : نزهة المشتاق فى اختراق الافاق ، ٢ م ، مكتبة الثقافة الدينية بدون تاريخ .
- البندارى : سنا البرق الشامى ، اختصار كتاب البرق الشامى للعماد الكاتب الأصفانى ، تحقيق د. فتحية النيرارى ، القاهرة ١٩٧٩ م.

ثالثاً : المراجع الأجنبية

- Baudrillart, Dictionnaire d'Histoire et de Geographie Ecclesiastiques , T. II, Paris , 1914.
- R. Cessi, Venice to theeve of the fourth Crusade ,C. M. H. IV, Pt.1, 2nd. ed. Hussey , Cambride , 1976, P.P. 251-74.
- Charles Diehl,
- History ofthe Byzantine Empire , Trans. from the french by George B. Ives , New York, 1945.

- Princesses d'Occident a la Cour des Comnènes dan figures Byzantines, Deuxième Série , Paris, 1908,P.P. 191-206 .
 - Les romanesques aventures d'Andronic Comnène dans figures Byzantines dans la Deuxieme Serie, 1908, Paris 1908,P.P. 86-133.
 - Hussey,
 - The Byzantine World, London , 1967.
 - The Later Macedonians , the Comneni and the Angeli 1025-1204, C. M.H., IV Pt. Part. I, 2nd ed. Hussey , Cambridge,1976,P.P. 193-259.
- Gy. Moravcsik, Hungary and Byzantium in the Middle Ages, C. M. H. IV, Pt. I, 2nd. ed. hussey , Cambridge , 1976.
- Ostrogorsky , History of the Byzantine State , English Trans. by ussey, Oxford, 1968.
 - Oxford Dictionary of Byzantium, Vol. 1, New York, 1991.
 - Runciman , Byzantine Civilization , Seventh Impression , Great Britain , 1975.
 - T.F. Toutt, The Empire and the Papacy , 918-1273,London , 1924.
 - Vasiliev, History of the Byzantine Empire , 324- 1453, Vol. 11, London , 1971.

رابعاً : المراجع العربية والمعربية

- إسـمـت غـنـيـم : الحـمـلة الصـليـبـيـة الـرـابـعة ومـسـئـوليـة انـحـرافـا ضـد القـسـطنـطـيـنـيـة ، دـار المـعـارف ١٩٨٢م .
- لـوـمـان : الـامـبـراطـوريـة البـيـزنـطيـة ، تـعـريـب د. مـصـطـفـى طـه بـدر، دـار الفـكـر العـربـي بـدوـن تـاريـخ .
- حـسـنـيـن مـحـمـد ربيع : دـراسـات فـي تـاريـخ الدـولـة البـيـزنـطيـة، القـاهـرة ١٩٨٣م .
- حـسـيـن مـحـمـد عـطـيـة : إمـارة أنـطاكيـة الصـليـبـيـة والمـسـلـمـون، دـار المـعـرفـة الجامـعيـة ، اسـكـنـدريـة ١٩٨٩م .
- سـعـيـد عـاشـور : الحـركـة الصـليـبـيـة ، جـ١ ، مـكتـبـة الأنـجـلـوا المـصـريـة ، القـاهـرة ١٩٨٢م .
- عـادـل سـليـمـان زـيـتـون : العـلـاقـات بـيـن القـوى الإيـطـاليـة وبـيـرنـطـة فـي القـرن الثـانـي عـشـر المـيـلـادى ، رسـالـة دـكـتـورا هـم تـنـشـر بـعـد ، القـاهـرة ١٩٧٥م .
- مـحـمـد مـحـمـد الشـيـخ : تـاريـخ الإمـبـراطـوريـة البـيـزنـطيـة بـدار المـعـارف الجامـعيـة ، اسـكـنـدريـة ١٩٩٤م .
- مـحـمـد مـحـمـد فـرحـات : بـيـروت ودورها فـي الصـراع الصـليـبـي الإيـسـلامى (١١١٠ - ١٢٩١م / ٥٠٣ - ٦٩٠ هـ)، رسـالـة دـكـتـورا هـم تـنـشـر بـعـد ، اسـكـنـدريـة ١٩٩٤م .
- مـحـمـود سـعـيـد عـمـران : السـياسـة الشـرقـيـة للإمـبـراطـوريـة البـيـزنـطيـة فـي عـهـد الإمـبـراطـور مانـويل الأول ١١٤٣ - ١١٨٠م، دـار المـعـارف ١٩٨٥م .
- هـايـد : تـاريـخ التـجـارـة فـي الشـرق الأـدنى فـي العـصـور الوـسطى ، تـرجـمـة أـحمـد رضـا مـحـمـد رضـا ، مـراجـعة د. عـز الدين فـوهـه ، جـ١ ، الـهـيئـة المـصـريـة العـامـة للـكـتـاب ، القـاهـرة ١٩٨٥م .